الفصل السابع

الفكر الحر وقضايا الاصلاح (*)

قضية التمدن — الدين والدولة — الليبرالية والمسألة الاقتصادية — الاشتراكية والمسألة الاجتماعية ، التعليم والمرأة .

ويقصد بقضية التمدن ، تطوير المجتمع وتحديثه ، بما يعبر عنه بالاصطلاح الاوروبى Modernization وقد واجهت هذه القضية المجتمع المصرى منذ مطلع القرن التاسع عشر . وبالذات منذ تحدته حضارة أوروبا فى ثوب حملة عسكرية فرنسية ، فانفتحت عيونه فجأة على مستحدثات الغرب ، الأمر الذى قوبل بالدهشة والتحدى من جانب المجتمع المحافظ ، والذى تقاسمت مشاعر النفور والاعجاب العديد من مفكريه وكتابه ، وهذا ما بدا واضحا — مثلا — لدى الجبرتى والعطار وغيرهما .

بيد أن المسألة لم تكن تمر بهذه السهولة ، خاصة وقد تولى مصر والى طموح ، وهو محمد على ، الذى اخذ على عاتقه مهمة اعداد جيش مجهز باحدث الطرز والأدوات ، ومن ثم كان عليه أن يستفيد من منجزات أوروبا العلمية والصناعية والادارية ، عن طريق استجلاب الخبراء والمعلمين والادوات اللازمة لذلك ، الأمر الذى قاد محمد على الى استقدام كافة عناصر الحضارة الاوروبية الاخرى الى مصر . لقد كان من الصعب انتزاع عنصر

(*) فى الحقيقة تعتبر قضية الديمقراطية ضمن مواد هذا الفصل ولكنها قد عولجت ضمن الفصل الخاص بالمجالس النيابية .

من تلك الحضارة مجردا عن الوسط الذى يعيش فيه ، فالشىء الواحد يؤدى الى الآخر كما يقول توينبى (١) .

وقد شهدت مصر فى عهد محمد على تطورا عظيما فى شتى مجالات الحياة نظريا وتطبيقيا ، الأمر الذى ادى الى اضمحلال ثم انهيار النظام السياسى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القائمة (٢) . وعلى الجانب الآخر للبحر المتوسط كانت تحررية أوروبا قد قطعت شوطا من التقدم ، فكان التصنيع نبى التحرر ، كما كان اساس حرية التجارة ، حيث انشأ سوقا عالمية ازالت عزلة ابعد الشعوب واستتر مفهوم الدولة القومية بالمعنى الحديث التى تتفق مع حدودها الجغرافية (٣) ذلك ما كانت تموج به أوروبا وقت أن اقيمت بينها وبين مصر ممر ثلاثة ، تمثلت فى البعثات العلمية ، واستقدام الاساتذة ، والخبراء الأوربيين الى مصر ، واخيرا حركة الترجمة الواسعة والنشطة ، التى نقلت العلوم والفنون الاوربية الى مصر ، ومن ثم اتخذت مسألة تحديث مصر وتطويرها طابعا جديدا وزاخرا . حيث بدا أن مصر تأخذ عن أوروبا بارادتها(٤) ، وكان على الجيل التالى — لعصر محمد على — ان يعيد صياغة قضية التطور والتمدن ، ، او بمعنى آخر يعرف كيف تتطور مصر ، واذا كان من سبقهم قد وقف على ما يجرى فى اوروبا ، فقد كان عليهم ان يعرفوا ماذا يعنى ذلك كله بالنسبة لمصر ، وكيف لها ان تستفيد من تجربة اوروبا بالاقتباس معارفها وصناعتها وتجارتها ونقل اكتشافاتها (٥) ، بل لقد بلغ الاعجاب بالحضارة الاوروبية حد النقد الذى رمى الشرقيين بالتعصب الجاهل ، الذى جعلهم لا يتبهون الى تقدم الغربيين

---

(١) ارنولد توينبى : العالم والغرب ، ص ٦٩ .

(٢) حول هذا المعنى انظر : عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى ، ص ٢١ وعلى الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى ص ٢١ — ٣٢ .

(٣) هارولد لاسكى : نشأة التحررية الاوربية ، ص ١٧٠ .

(٤) وقد عبر المويلحى عن هذا المعنى قائلا على لسان عيسى بن هشام ج ١ ، ص ٧٢ « انما نحن الذين ادخلنا انفسنا تحت حكم الفرنسيين فاخترنا قانونهم ليقوم عندنا مقام شرعنا » وقد ذكر الطهطاوى أن أعظم وسائل تقدم الوطن فى المنافع العمومية رخصة المعاملة مع اهل الممالك الاجنبية . (احمد بدوى : رفاعة الطهطاوى ، ص ١٣٦ ، ١٦٦) .

(٥) روضة المدارس عدد من عام ١٨٧٠ ، وعدد ٩ عام ١٨٧٥

فى مبتدعاتهم وتفننهم فى مخترعاتهم حتى بلغوا ذروة الثروة (٦) وقد مس الشيخ محمد عبده هذه المسألة حين كتب منتقدا المنتديات المصرية واحاديثها التافهة ، مقارنا اياها بما يحدث فى المنتديات الاوروبية وما يتداول فيها من افكار ومناقشات على قدر كبير من الاهمية (٧) . بل وما قصة « علم الدين » لعلى مبارك ، وعرضه للقاء الشيخ بالمستشرق الانجليزى ، سوى دعوة صريحة للسياحة فى اوروبا والأخذ بعلومها وفنونها وآدابها (٨) وكان محمد عبده يقرأ على تلاميذه تاريخ التمدن لجيزو ليناقش معهم اسباب تطور واضمحلال الحضارات (٩) .

على أن صدمة الاحتلال البريطانى قد مهدت الطريق لتقبل الافكار الغربية على مدى أوسع من ذى قبل بحكم انها هزت اعتقاد المسلمين من المصريين فى تفوقهم ، على الاقل فى المجال المادى ، ومن هنا كان الجيل الجديد الذى نشأ فى عهد الاحتلال أقرب الى قبول المدنية الغربية من آبائه ، كما كان أشد وعيا وتنبها ، وكان الأساس الثقافى الذى قام عليه الاتجاه اللبرالى العلمانى فى مصر ، أوربيا ، وانجليزيا وفرنسيا بوجه خاص (١٠) . وبشكل عام نستطيع أن نميز بسهولة بين اتجاهين واضحين للفكر فى ذلك الجيل ، أحدهما تقليدى من حيث اهتماماته الثقافية وشرائعه ومبادئه الخلقية ، والآخر لبرالى من حيث اعتماده على المبادىء المستمدة بالاستنباط العقلى من اعتبارات المصالح الدنيوية متأثرا بالفكر الاوروبى (١١) حتى أننا نجد نوعين مستقلين من المؤسسات التعليمية فى مصر ، كان خلفه ازدواجية

---

(٦) الاهرام عدد ٢٣ فى ١٦ مارس ١٨٧٧ رسالة من الشيخ عبد الكريم سلمان بالازهر .

(٧) الوقائع المصرية ١٠٣٢ فى ٩ فبراير ١٨٨١ .

(٨) حسين فوزى النجار : على مبارك ابو التعليم ص ١٢٨ — ١٣٣ تلخيص للقصة .

(٩) رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ويضيف أن محمد عبده كان يقول « من لا يعرف لغة من لغات العالم الاوربية لا يعد عالما فى هذا العصر » .

(١٠) احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى ، ص ١٦ ، ٢١ ، ٤٩

(١١) حورانى : الفكر العربى ، ص ١٧٠ ، وحول هذا المعنى أيضا أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى ، ص ١٦ ، وكذلك :
Safran, Egypt in Search. p. 47.

وكذلك على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى ، ص ٣٣ .

فى العقليات وانماط التفكير ، ادت بدورها الى خلق فئتين مختلفتين من المثقفين . لكل منها عقليتها وتأثيرها الخاص ، وقد عبر عن هذه الازدواجية العديد من المفكرين ، ومنهم على سبيل المثال قاسم أمين الذى ذكر فى رده على الدوق داركور انه سلخ نفسه من شخصيته المزدوجة بوصف انه مسلم ومصرى(١٢) وهيكل قد وصف مصر بأنها تتأرجح بين العقليتين العربية والغربية تتغلب احداهما حينا وتتغلب الثانية حينا آخر (١٣) . كذلك كان لطفى السيد نتاج امتزاج ثقافتين اسلامية واوروبية ، كانتا تتنافسان على امتلاك نفسه (١٤)، وان تغلبت احداهما على الأخرى فيما بعد ، بيد أن السمة الغالبة لجيل المفكرين المصريين بعد الاحتلال تمثلت فى افتقار غالبيتهم الى الثقافة الشرقية، نتيجة اتجاههم الى المدارس الاميرية وتلقى العلوم الحديثة فلم يبدأ معظمهم خطواته بدراسة الكلاسيكيات أو اللغات أو فقهها ، فى الوقت الذى احسوا فيه بتأثير التعليم العلمانى فاصبحوا تدريجيا « مستغربين » بدرجة ما (١٥) . فكان عليهم مواجهة الواقع الجديد ، واقامة مجتمع تنتهى فيه سيادة الفكرة الدينية ، ويبقى فيه الدين محترما لكنه لا يكون الموجه للسياسة ، اساس العلاقات فيه المنفعة لا العاطفة ، حيث تنطلق امكانيات الفرد فى تحرر وحرية تامة مستمدة من الايمان بليبرالية اقتصادية ، كل ذلك على نمط تطورى يبحث عن المثال فى تطور الامم وسر تقدمها ، ويعد هذا كله نتاجا طبيعيا للاتصال بالفلسفة النفعية لبنتام التى استوعبها جيدا لطفى السيد ، وظهر اثرها فى كتاباته ، وترجم فتحى زغلول عن صاحبها « أصول الشرائع » ، ونتيجة للاتصال ايضا بدراسات سبنسر فى التربية وأميل روسو وغيرهم ، وقد تميز حزب الامة بنشاط كتابه واسهاماتهم الفكرية فى الوقت الذى استغرق فيه العمل السياسى نشاطات الأحزاب الاخرى ، وقد تعرض العديد من

---

(١٢) ماهر حسن فهمى : قاسم أمين ، ص ١٠٦ .

(١٣) محمد شفيق غربال : الدكتور هيكل مقال بكتاب تذكارى عنه ، ص ١٧٤ .

(١٤) Wendell, Ch. Th e Evolution of the Egyptian National Image, p. 217.

(١٥) Ibid, p. 203.

بفكرى حزب الامة لقضية تحديث مصر بشأن استاذهم محمد عبده ، ومثله ، بحثوا عن الوسائل والاسباب التى توصلت بها الامم الى ذلك القدر من التمدن ، وكان محمد عبده يرى أن الوصول الى حالة التمدن التى عليها « جيراننا فى الممالك الغربية ليس بنقل أفكارهم وعاداتهم وأطوارهم الى هذه البلاد دون فحص اسباب ذلك » (١٦) وكان تلاميذه اكثر جراة واستيعابا للثقافة الاوروبية ، واكثر تحررا من طبيعة مجتمعهم ، ومن ثم تعاملوا مع الفكر الاوروبى بشكل مباشر وتحررية صرفة . وقد اتخذ هذا التعامل عدة اشكال ، اولها : التعريب والدعوة اليه ، فأحمد فتحى زغلول يقدم ترجمته لكتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين لديمولان ، بأن المقصود منها تنبيه الفكر الى اسباب ما نحن فيه من التأخر والانحطاط (١٧) ويسهب فى الحديث عن اسرار تفوق الغرب ، الذى اختص بفريق راق من العظماء ، دون الشرق ، ينسب اليه الفضل فى الرقى الذى وصلت اليه العلوم والفنون والصناعة(١٨) ونستطيع بذلك مغالبة أمم الغرب « فنحن ضعاف فى كل شىء تقوم به حياة الامم » (١٩) وكثيرا ما دعت الجريدة الى قيام نهضة جديدة فى التعريب واشادت بترجمات فتحى زغلول واليازجى والبستانى وحافظ ابراهيم وغيرهم (٢٠) فأول خطوة — فى نظرها — يخطوها المصلحون العلميون هى نقل العلم الى أوطانهم بالترجمة ، فهذه الطريقة هى الف باء النهضة العلمية فى كل أمة (٢١) ، بل لقد نادى لطفى السيد بضرورة أن تشرع الحكومة فى انشاء دار للترجمة تنقل امهات الكتب ، واقترح برنامجا لذلك مؤداه البدء بترجمة اليونانيين فى الفلسفة والمعاصرين فى الآداب ، واحدث الكتب فى

---

(١٦) رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، وانظر ايضا :
Safran, op. cit. p. 63.
حيث كان محمد عبده معجبا بسبنسر وقد زاره فى بيته بانجلترا وترجم له عملا فى التربية من اصله الفرنسى .
(١٧) ديمولان : سر تقدم الانكليز السكسونيين ، ص ٢٩ عن مقدمة فتحى زغلول .
(١٨) لوبون : سر تطور الامم ، ص ١٦٣ .
(١٩) ديمولان : سر تقدم الانكليز ، ص ٣٤ .
(٢٠) الجريدة ١٠٦ فى ١٣ يوليو ١٩٠٧ .
(٢١) الجريدة ٢١٧٨ فى ٩ مايو ١٩١٤ .

العلوم (٢٢) ، وقد شرع بنفسه فى ترجمة ارسطو طاليس ، فيما بعد ، كذلك بدأت الجريدة على نشر فصول من الفكر الاوروبى ، فعرضت كتاب الحرية لجون ستيوارت مل فى سلسلة مقالات اكثر من مرة (٢٣) ونشرت عرضا لكتاب الحياة الاجتماعية فى المستقبل للدكتور بيلتز (٢٤) ونقلت رواية هرمان ودوروثيه للشاعر الالمانى غوث كليوب مسلسلة ، ورواية كما تحب لشكسبير (٢٥) . وثانيها : الاستفادة من هذا الفكر فى مؤلفاتهم وكتاباتهم والاستشهاد بها وبالمجتمع الاوروبى ، وقد بدا هذا جليا فى كتابات قاسم امين ، الذى كثيرا ما استشهد بكتابات وافكار سبنسر فى التربية العقلية ، وامتلأت مؤلفاته باقتباسات عن روسو ، وشيلر وغيرهم(٢٦) بل كثيرا ما ضرب الأمثلة بالمراة الغربية على اعتبار انها النموذج الصحيح الذى يقدمه لمواطنيه ، كذلك ظهرت فى كتاباته افكار داروين حول التزاحم والرقى وغيرها (٢٧) ، وبالمثل ظهرت هذه الافكار فى كتابات باحثة البادية (٢٨) ، وفتحى زغلول(٢٩) . وثالثها : المقارنة بين مصر والغرب ، وقد قام كتاب الجريدة الشباب بهذا الدور ، وذلك بحثا عن عوامل التلاقى والابتعاد ، ووصولا الى نوع من التفاهم والتقريب . وقد عبرت كتابات سلامة موسى وتوفيق دياب عن هذا المعنى ، فعرض الاول لدراسة مقارنة بين المجتمع الانجليزى والمجتمع المصرى من حيث الادارة والنظام الاجتماعى وسلطة الحاكم (٣٠) ، وقدم الثانى دراسة مقارنة للمدنيتين الشرقية والغربية انتهى

---

(٢٢) الهلال ديسمبر ١٩٦٧ ، ص ١٢١ .

(٢٣) الجريدة ٥٢٣ في ٧ ديسمبر ١٩٠٨ تعريب عبد الرحمن زهدى وعدد ١٥٥٢ في ٢١ ابريل ١٩١٢ ، عرض توفيق دياب ، وعدد ٢٢٤٢ في ٢٢ يوليو ١٩١٤ ، عرض عبد الحميد حمدى .

(٢٤) الجريدة ٢٢٥ في ٣ ديسمبر ، ٢٣٣ في ١٢ ديسمبر ١٩٠٧ .

(٢٥) الجريدة ١٠٦٨ في ١٢ سبتمبر ١٩١٠ (بقلم صالح حمدى حماد) ، ٢٢٣٥ في ١٤ يوليو ١٩١٤ بقلم حامد الصعيدى .

(٢٦) قاسم امين : المراة الجديدة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٦٦ ، وتحرير المراة ، ص ٤٣ .

(٢٧) قاسم امين : تحرير المراة ، ص ١١٨ .

(٢٨) منصور فهمى : محاضرات عن مى زيادة ، ص ٨٧ .

(٢٩) أحمد فتحى زغلول : المحاماة ، ص ٤٢٠ .

(٣٠) الجريدة ٤٠٦ في ٨ يوليو ١٩٠٨ وما بعدها .

منها إلى ان فضائل الغرب اكثرها ايجابى وان فضائل الشرق اكثرها سلبى (٣١) . وان كان عبد الحميد الزهراوى قد رأى ان الغرب سكر بالماديات واستحل فى سبيلها كل شىء « فلئن قلنا أن الشرق قد سبقه بهذه الفكرة فليس هذا يدافع عن الغرب وصمة هذا السكر » (٣٢) .

أما مضمون الاحتكاك بالحضارة الاوروبية ، فقد اتخذ عدة معان منها الدعوة الى التقليد والمحاكاة والمزاجمة ، والدعوة الى الامتزاج والتوفيق ، وأخيرا التعامل معها بنظرة نقدية قوامها الانتقاء والاختيار ، وقد ارتبطت هذه المعانى جميعا ببعضها ان لم تكن قد اختلطت عند مفكر أو آخر ، والدعوة الى التقليد والمحاكاة اصل من اصول التطور ، والتطور طبيعى لا يستطيع احد ان يقف فى طريقه فهو سيحصل بالفعل كما يقول لطفى السيد ، فعلينا إلا نقبل فينا خاصة التقليد المفيد بل يجب ان نروجه حتى نقلد الامثلة الصالحة (٣٣) ، وكان هذا من منطق الايمان بتفوق الغير والاعتراف له وعدم الخشية على الذات منه . وان كان يجب أن تلاحظ فيه حالة مصر من القوة والضعف ومركزها من العلم والمعرفة وموضعها من الدرجة الاقتصادية وان اوروبا هى المرشد فى المحل الأول (٣٤) وانها قبلة المصريين — فى تعبير مصطفى عبد الرازق — التى بات عليهم ان يحجوا اليها ثقة بأن الغرب قد خطا بالعلم خطوة كبيرة واننا اصبحنا عيالا عليه فى نهضتنا فلا غنى لنا عما عند القوم من مدنية وعرفان(٣٥) .

أما الدعوة إلى مزاجمة الاوربيين فقد انبعثت أساسا من تواجد الاوربيين فى مصر من ناحية ، والقدرة على تصور ان مصر بامكانها أن تصبح

---

(٣١) الجريدة ١١٥٣ فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٠ وحتى ١١٧٧ فى ٢٨ يناير ١٩١١ .

(٣٢) الجريدة ١٢٧ فى ١٨ أغسطس ١٩٠٧ مقال الشرق والغرب للزهراوى .

(٣٣) لطفى السيد : التأملات ، ص ٨٢ — ٨٣ (التقليد) ، والجريدة ١٤٥٠ فى ٢١ ديسمبر ١٩١١ (بين الشرقى والغربى) .

(٣٤) Wendell, Ch. Evolution of the Egyptian National Image. p. 223.

(٣٥) على عبد الرازق : من آثار مصطفى عبد الرازق ، ص ٨٠ (عن مذكرات الشيخ المراغى التى نشرتها الجريدة) .

على نفس المستوى مع اوربا أن لم تفقها من ناحية اخرى وعلى هذا آمن العديد من مفكرى حزب الامة بفكرة المزاحمة ، وامتلأت بها كتاباتهم فقاسم امين دعا الى أن تتعلم الامة كما يتعلم مزاحموها وتسلك مسلكهم فى التربية حتى تعيش بجانبهم أو تسبقهم وقد اكد ايمانه بما اسماه داروين قانون التزاحم (٣٦) ، وباحثة البادية تطلب الى نساء وطنها مزاحمة الاوربيات فى مصر « والا فلن نلبث أن يحتلنا نساء الغرب ايضا (٣٧) بينما يرى لطفى السيد أن ضرورات المزاحمة الحيوية قاضية لا مرد لقضائها ، وأن على المصريين أن يتفهموا هذه المذاهب منذ الآن ، وان الطريق الوحيد لتقدم مصر يكمن فى استيراد أسس الحضارة من أوربا ، وقد قاده هذا الفهم نحو الرغبة فى ايجاد ارتباط بين الحضارتين داخل اطار واحد (٣٨) .

وهذا ما عبر عنه بالتوفيق أو الامتزاج بما يحقق التمصير ، «فالعلم ليس له وطن ولكن تزويج العلوم الشرقية بالعلوم الغربية هو الوسيلة لتمدننا — مع حفظ شخصيتنا الاخلاقية (٣٩) ، ولم يكن لطفى هو الوحيد الذى عالج هذه المسألة ، بل شاركه فى ذلك توفيق دياب ، حتى لقد بدأت فكرة جديدة فى البروز هى فكرة الشخصية القومية على أساس التمدن ، بعيدا عن فكرتى التقليد والمزاحمة ، وقد عبر عن ذلك يوسف البستانى ، حين ذكر انه لا ينفع المصرى سوى مباراة الاجنبى فى الاتقان وما الاقبال على القليل غير المتقن الا تشجيع للمقصر ، وهل يؤمل ان يفضل المصرى بضاعة مصرية غير متقنة على بضاعة اجنبية بالغة الاتقان ؟ (٤٠) . وفى خطبة للهلباوى بنادى حزب الامة دعا الى تفضيل المصرى على الاجنبى فى التعامل ، وحث الاول على اجتذاب ابناء وطنه بالاتقان والتفانى (٤١) ، كما قرن طلعت حرب بين قضية

---

(٣٦) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣٧) مجد الدين حفنى ناصف ، آثار باحثة البادية ، ص ٨٣ (عن أول خطبة لها بدار الجريدة) .

(٣٨) Wendell ,op .cit. p. 224.

(٣٩) الجريدة ٤٧٢ في ٢٣ سبتمبر ١٩٠٨ (خطبة مدير الجريدة في التعليم) .

(٤٠) الجريدة ٩٨٧ في ٨ يونيو ١٩١٠ .

(٤١) الجريدة ٨٤٤ في ١٨ ديسمبر ١٩٠٩ .

الاستقلال التام ومبدأ مصر للمصريين وبين مزاحمة الاجانب ، فلا يمكن أن نصل الى ذلك الا اذا زاحم طبيبنا الطبيب الاوربى ومهندسنا المهندس الاوربى والتاجر منا التاجر الاوربى ... الخ (٤٢) وبهذا اكتسبت القضية لديه مدلولا اجتماعيا اقتصاديا على العكس من لطفى السيد ، الذى اتخذت عنده مدلولا سياسيا أو قانونيا ، بالرغم من انه طالب الامة أن تفضل مصنوعات البلاد على مصنوعات الخارج ، ولو كانت أغلى ثمنا أو أقل بهجة لمجرد كونهـا صناعة مصرية وحسب (٤٣) فيتحول المعنى عنده الى ما يشبه التعصب ، تحولا جعله يردد قول الافغانى من أنه ما رأى قوما أقل استمساكا بشخصيتهم القومية من المصريين وانهم ان لم يعتصموا بشخصيتهم ويتعصبوا لجنسهم المصرى فلا بقاء لهم (٤٤) وقد عبر عن هذه القضية أحد تلاميذه وهو عبـده البرقوقى ولكن بمعنى « الأثرة الوطنية » حين دعا المصرى الى التشيع لامته والتفانى فى خدمة وطنه ، وأن هذه الأثرة لو انتزعت من قلوب الافراد لتفككت الروابط الاجتماعية وتناثرت أطراف الأمة ، وقـد رأى أن ذلك يختلف عن النعرة القومية التى تعمى عن السيئات ولا ترى الا الحسنات وتنكر فضائل الامم الاخرى (٤٥) .

أما فكرة الانتقاء أو الاختيار من حضارة الغرب فقد عبر عنها معظم مفكرو الحزب ، وكانت تنبعث اساسا من ايمانهم بأن التمدن الاوربى ليس خيرا كله من جهة ، والايمان بتراث مصر الثقافى ، وتمثل بنيانها الاجتماعى والاقتصادى المتميز فى غير تعصب من جهة ثانية ، والايمان بشمولية التجربة الانسانية (٤٦) من جهة ثالثة ، فطلعت حرب ذكر انه يجب تخـير احسن العادات ، وانفعها وأكثرها ملاءمـة لمصر ودينها (٤٧) وقاسم أمين رأى أن التمدن الاوربى ليس خيرا محضا ، وان الانحطاط هو الذى أطمع الاجانب

---

(٤٢) الجريدة ١٧٤ في أول أكتوبر ١٩٠٧ .
(٤٣) الجريدة ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ في ٢٦ ، ٢٧ فبراير ١٩١٢ .
(٤٤) الجريدة ١٤٥٢ في ٢٤ ديسمبر ١٩١١ .
(٤٥) الجريدة ٢٢١٧ في ٢٣ يونيو ١٩١٤ .
(٤٦) الجريدة ١٤٨ في أول سبتمبر ١٩٠٧ .
(٤٧) محمد طلعت حرب : فصل الخطاب في المرأة والحجاب ، ص ٤٧ .

غيرنا(٤٨) ، وباحثة البادية جددت ما يقتبس من المدنيـــة الأوربية بالضرورى النافع بعد تبصيره وذكرت ان واجب الشباب الذى انصرف لتلقى العلوم الجديثة فى اوربا ان يدخلوا كل ما يرونه صالحا الى بلادهم (٤٩) ، واصبح واضحا امام كتاب الجريدة ان مصر لا تستطيع ان تستغنى عن غيرها ولا توجد امـــة تستطيع ذلك (٥٠) ، فقط كل ما ينبغى عليها وهى تستورد من اوربا البضائع السياسية والادبية والاخلاقية ان تحقق وتدقق ، فما أوربا الا كالبحر الزاخر تارة تقذف بجيفة وتارة بصدفة (٥١) ، وكان لطفى السيد يهتف بسامعيه « لا تجعلوا انفسكم مطية لكل مبدأ غربى ولكل عادة غربية ولكل نظام غربى ، لا تاخذكم المبادىء الغربية ولا تعشقوها قبل ان تصبحوها ولا تصبحوها قبل ان تعرفوا بالتجربة انه يمكنكم ان تضيفوها الى انفسكم وتدخلوا عليها من التحوير ما يجعلها تلائم اقليمكم وطبائعكم ودينكم » (٥٢).

ومن السهل علينا ادراك ان مفكرى حزب الأمة كانوا ينادون بتقليد الاوربيين حين يتعلق الموضوع بنظم الحكم وشئون السياسة ، وبينما يركزون على فكرة المزاحمة ، حين يكون الحديث فى شئون الاقتصاد او المعاملات ، اما عندما يؤكدون على ضرورة الانتقاء من حضارة الغرب واستبعاد مفاسدها فان الحديث حينئذ يتصل بمسائل العادات والاعراف والاجتماعية والتقاليد وغير ذلك مما قد يصدم مشاعر المجتمع اذا ما ارادوا خلاف ذلك . وعلى ذلك فقد شاب ليبراليتهم ودعوتهم الى التطور بعضا من الحذر ان لم يكن الضعف ، على ان غالبيتهم ، وان افتتن بحضارة دولة اوربية بعينها كانجلترا مثلا او فرنسا بالذات ، فان منهم من نادى بتعدد الجهات والامم الاوربيـــة التى يقصد اليها الطلبة المصريون حتى لا تتاثر العقلية المصرية ، بطابع دولة بعينها ، حتى تتكون فى النهاية عقلية مصرية متشابهة فى سموها مع اسمى

---

(٤٨) قاسم امين : المراة الجديدة ، ص ١٩٢ ، ٢٠٣ .
(٤٩) مجد الدين حفنى ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٨٤ — ٨٥ ، ص ١١٢ — ١١٣.
(٥٠) الجريدة ١٤٨ في أول سبتمبر ١٩٠٧ .
(٥١) الجريدة ١٦٠٣ في أول مارس ١٩١٠ ، ١٩٠٤ في مارس ١٩١٠ .
(٥٢) خطبة لطفى السيد في نادى المنصورة الاهلى ، الجريدة ١١١٨ في ١٤ نوفمبر ١٩١٠.

الأمم ثقافة (٥٢) ، كما نبه بفضهم الى أن الافكار الاستعمارية كانت تتطور لتأخذ شكلا جديدا هو الاستعمار على اساس تمدين الأمم التي يعتبرها المستعمرون فى نظرهم قليلة المدنية(٥٤) ، لكن هذا كله لم يؤثر فى مدى ايمانهم بالحضارة الغربية وثقتهم فى فائدتها بالنسبة لمصر ، ودعوتهم الى التعامل معها بشكل أو بآخر .

* * *

لقد أقر محمد عبده بأن الاسلام دين عقلى يسمح للمسلمين بأن يقتبسوا العلوم الحديثة بدون اعتناق المذهب المادى أو الخروج على دينهم ، وكانت احدى غاياته الرئيسية امكان التوفيق بين الاسلام والفكر الحديث (٥٥) والاستفادة من ثمراته علميا واقتصاديا وسياسيا ، ومن ثم أطلق لفكرة الحرية فى تفسير القرآن بروح العصر والاسترشاد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم الصحيح واكد بأن الاسلام انحى على التقليد وحمل عليه بيد ان نفرا من تلاميذه (٥٦) كانوا اكثر ايمانا بتقدمية ايجابية ، اطاحت بكل الموروثات — ان لم تكن قد تجاهلت عامل الدين — فى علمانية واضحة وليبرالية تامة ، اثرت فى تطور الفكر المصرى ، وآتت ثمارها فى عشرينات هذا القرن .

كانت مسألة علاقة الدين بالدولة من الافكار الاوربية الحديثة التى نفذت الى عقول مفكرى حزب الامة ووجدت سبيلها الى صفحات جريدته ، فى وقت كانت الفكرة الدينية هى المتسلطة على عقائد الناس واخلاقهم وانظمتهم ومعاملاتهم تسلطا لا يفكر احد فى اية وسيلة للتحلل منه (٥٧) ، وكان محمد عبده بعرضه لامكانية التوفيق بين الدين ومتطلبات العصر هادفا بذلك

---

(٥٢) طلعت حرب : فى خطبه ومقالاته ومحاضراته ، ص ٦٧ — ٦٨ .

(٥٤) محمد حسين هيكل : فى اوقات الفراغ ، ص ١٢٨ .

(٥٥) حوراني : الفكر العربى ، ص ١٨٤ ، ١٨٧ .

(٥٦) على سبيل المثال فتحى زغلول الذى آمن مع لوبون بوجوب نمو ملكة النقد عند الأمم باعتبارها من أسرار تطورها (سر تطور الأمم ص ٣١) وقاسم امين : الذى آمن بمبدأ التقدم ودعا الى التحلل من كل التقاليد (ماثر نهمى : قاسم أمين ، ص ١٨٣) .

(٥٧) هيكل : فى اوقات الفراغ ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

صياغة مبادىء المجتمع الدينى صياغة جديدة قد ساعد على ظهور فكرة المجتمع القومى العلمانى أو « علمانية الدولة » فيما بعد على يد اتباعه وان اتخذ الوعى بذلك اسلوبا مرحليا لديهم .

وان كان قد فشل فى التغلب على الاتجاهات العلمانية لدى من مالوا الى العلم الحديث ، فاليه يرجع الفضل فى تمهيد الاذهان لظهور افكار خاصة بالدين والدولة تخالف افكار الماضى ، حين حاول ان يصالح بين العلم والدين واعترف بضرورة تمشى القانون الاسلامى مع متطلبات العصر (٥٨) .

وكان على تلاميذه ممن آمنوا بفكره ، ونهلوا من الثقافة الاوربية بشكل واسع ومباشر ، ان يساهموا فى احداث التحول نحو تبلور كامل لفكرة القومية المصرية دون خلط بين مقوماتها الحديثة وبين الدين ، او تزاوج الفكرة السياسية ، والفكرة الدينية . فاستبدلوا العقيدة بالدافع الوطنى ، دون ان يهزوا دعائم الاسلام ، ومن ثم كانوا اعظم تأثيرا من العلمانيين الصرف والمحافظين الدينيين (٥٩) واستطاعوا ان يجعلوا الامة تستسيغ من المبادىء الحديثة مالم يكن فى وسعها ان تسيغه من قبل ، وان جاء هذا بعد زمن طويل . فها هو قاسم امين يشيد فى كتابيه تحرير المراة والمراة الجديدة بعلمانية اوربا التى تقلصت فيها احكام الكنيسة امام حاجات الشعوب وضروراتها ، كما أشاد بالاكتشافات العلمية التى خلصت العقل من الأوهام والخرافات وقادت الى ابطال سلطة رجال الكنيسة (٦٠). كما وجدت فكرة الدولة العلمانية التى ينفصل فيها الدين عن السياسة ، صداها على صفحات الجريدة لا فى شكل دعوة فى البداية وانما فى معرض حديث عن عدوى الافكار التى بدات تسرى من اوربا الى الشعوب الاخرى او « ما يعبر عنه باصطلاحهم بفصل الحكومة عن الكنيسة وتوسع بعضهم فسماه فصل الدنيا عن الدين » ، وترى الجريدة ان شيئا من هذا قد

---

(٥٨) احمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الاسلامى ، ص ٦٣ — ٦٤ ، ص ٦٧ ، وهيكل : السابق ، ص ١١٠ .

(٥٩) Ahmed, J.M. The Intellectual, p. 43 and Afaf, L.Al. Egypt and Cromer, p. 15.

(٦٠) قاسم امين : تحرير المراة ، ص ١٥٧ ، المراة الجديدة ، ص ٣ .

حتى يرتب « فتسرب الى نفوس بعضنا الشك فى صحة ما يأتيهم من العلماء »(٦١) وقد أشاد نقولا حداد فى الجريدة ، بتقدم أمريكا القائم على قوة العقل والعلم وحين تعرض بالتحليل لأسباب ذلك ركز على العنصر الخاص بفصل الدين عن مدارس الحكومة (٦٢) ، كما عالج طه حسين مسألة الرئاسة الدينية بشىء من الحذر ، على صفحات الجريدة ، فرأى أنه من الشر أن ينفصل الدين عن الملك ، ولكنه رأى ان الشر كل الشر ان يتصل الدين بالملك من غير أن يحوطه الدستور بسياج يعصمه من ان يكون سيفا على رؤوس المصلحين ، وطمأن الخائفين من ذلك الاتصال ومن اشفاقهم ان يستحيل الى بابوية العصور الوسطى (٦٣) أى أنه لا ينكر حق الخليفة فى الرئاسة الدينية ، ولكنه انكر حق ممارسته السياسة بموجبها او دون ان يكون بينه وبين الرعية دستور .

وقد اثيرت مسألة علاقة الدين بالقومية حين اخذت الجريدة تدعو لفكرة القومية المصرية وتحدد اركانها الثلاث : الدين والارض واللغة ، وأوضح كاتبها أن الدين لازم لقومية الامم ، وشرط جوهرى لبقائها عزيزة نامية ، ولكنه ليس بالشرط الوحيد ، بينما اللغة عرض من اعراض الامة لا جوهر فالأمة أول واللغة ثان (٦٤) ، بينما طور المفهوم كاتب آخر وهو عبده البرقوقى حين تجاهل فى البداية فعل العامل الدينى فى بناء القومية ، فرأى أن اتفاق المسلمين جميعا وسيرهم تحت راية واحدة ومنتمين لدولة واحدة ، حلم لذيذ ولكنه خيال وتساءل فى استنكار : هل تنسى كل امة شخصيتها وتتناول عن قوميتها ؟ بل وتمادى الكاتب اكثر من ذلك فانكر وجود امبراطورية اسلامية بالمرة ، فالذى وجد امبراطوريات ، انشئت على أساس القومية وساد فيها عنصر مخصوص على بقية العناصر الأخرى ، ففى صدر الاسلام كان العنصر العربى ، ثم خلفه التركى فى غربى

(٦١) الجريدة ١٤٤ فى ٢٧ أغسطس ١٩٠٧ .
(٦٢) الجريدة ٨٠٤ فى ٣٠ أكتوبر ١٩٠٩ .
(٦٣) الجريدة ١٢٣٥ فى ١٦ ابريل ١٩١٢ .
(٦٤) الجريدة ١٨٨٠ فى ١٨ مايو ١٩١٢ (بتوقيع الزاوية) .

الامبراطورية والفارسى فى شرقيها ، بل لقد أعطى الكاتب هذه الفتوحات تفسيرا ماديا « فلم يكن نشر الدين هو العامل الأول على مغادرة العرب جزيرتهم وانما فقر بلادهم وطمعهم فى ثروة الممالك الأخرى » بيد ان الكاتب عاد ليضع الدين ، بعد أن جرده من تأثيره وسحره وتفرده ، كعامل من عوامل القومية ، وان كان قد تحفظ بأنه وحده غير كاف فى تكوين الدول بل لابد معه من وحدة الجنس واللغة ، وائتلاف الطباع وتناسق العادات واتفاق المصالح والحاجيات (٦٥) .

وقد وقف لطفى السيد من هذه المسألة موقفا اكثر تحررا ، فتجاهل الدين واللغة كأساسين للدولة القومية ، وتساءل مندهشا — كيف يفهم الاستقلال اذا باتت مصر ارضا لكل مسلم يحل فى ارضها عثمانيا كان أو غير عثمانى ؟ ان استقلال المصريين بذلك يصبح معناه ملكية مصر على لجميع مسلمى الكرة الارضية ، وكان يركز على عاملين أولهما الاساس الجغرافى المحدد بحدود واضحة ثانونا ، وثانيهما عامل المنفعة الحيوية باعتبارها قاعدة السياسة (٦٦) وهكذا لم يكن الدين ، أى دين ، الا واحدا من العوامل المكونة للمجتمع ، وليس أولها فى نظر لطفى السيد ، كما لم يكن مقتنعا بقيام الدولة على اساس دينى ، وان لم ينكر ان المجتمع المتدين افضل من المجتمع غير المتدين .

* * *

يقول لاسكى ان الليبرالية تميل الى ان تكون شخصية وفردية ومناهضة للتغيير الذى يأتى من المبادأة الفردية ، ذلك أن الذى انتجها — فى أوربا — هو نشوء مجتمع اقتصادى جديد فى نهاية العصور الوسطى ، وكان مبدؤها الحى انها الفكرة التى انتقلت بواسطتها الطبقة الجديدة الى مركز التسيطرة السياسية وكانت وسيلتها اكتشاف ما يصح ان يسمى بالدولة التعاقدية ،

---

(٦٥) الجريدة ٢٢١١ فى ١٦ يونيو ١٩١٤ (القومية والجامعة الدينية — افتتاحية لعبده البرقوقى) .

(٦٦) الجريدة ١٦٦٦ فى اول سبتمبر ١٩١٢ . لطفى السيد : التأملات ص ٦٥ — ٦٦ وكذلك : Wendell, Ch. op. cit. p. 232.

ولتصنع هذه الدولة سعت الى تحديد التدخل السياسى فى أضيق نطاق(٦٧) ك
وينطبق هذا التفسير على مصر بدرجة ما ، فلديها طبقة محدثة ، وان ليست ا
اقتصادية بالمعنى العام ، تعتمد على الثروة الناتجة من احتياز ملكيات زراعية
كبيرة فى شغل مركز الصدارة فى المجتمع سواء من ناحية الوجاهة او
الانتشار فى مؤسساته وهيئاته السياسية وكان مفكروها على وعى بشكلة
العلاقة مع الدولة ، لكن الى أى مدى يؤمنون بتدخل الدولة لتوجيه الاقتصاد؟

أول ما نلحظه عند قرائتنا لمفكرى حزب الامة هو ربطهم بين الاقتصاد
والسياسة ، سواء فى ذلك من امتدت أصولهم الى ذوى الملكيات الكبيرة او
من لم تمتد جذورهم الى هذه الطبقة . ولعل اهتمامهم بالمشاكل الاقتصادية
على صفحات جريدتهم ، والذى نال القسط الأكبر من صفحاتها ، يفسر هذا
الفهم فلطفى السيد مترجم « سياسة وأخلاق » أرسطو ، وهو يتحدث عن
الاستقلال يقدم الحرية الاقتصادية « متى أصبحنا غير مدينين أصبحنا أحرارا ،
والحرية المالية هى المحضر الأول للحرية السياسية » (٦٨) والسياسة خادم
الاقتصاد والثروة هى اكبر القوى السياسية(٦٩) . وابراهيم رمزى يلح
على زعماء الامة ان يعملوا بالماديات والحد من العمل بالسياسة ، وطالما
ردد بين جنبات المؤتمر المصرى (١٩١١) « اعطنى مالية حسنة أعطيك
سياسة حسنة » (٧٠) بل لقد شبه الذين حصروا أعمالهم فى السياسة بأنهم
« مثل من يريد ان يبنى الدور الأعلى قبل أن يفكر فى الأساس »(٧١) واعتقد
نفس الاعتقاد من كتاب الجريدة اسماعيل زهدى الذى ذكر ان سعادة الامة
ترتبط بحالتها الاقتصادية والاجتماعية أكثر من ارتباطها بشكل حكوماتها
السياسى (٧٢) . ومنهم من فسروا التاريخ تفسيرا ماديا كالبرقوقى ، والدكتور

---

(٦٧) هارولد لاسكى : نشأة الحرية الاوربية ، ص ١٠ .
(٦٨) الجريدة ٨٤٧ في ٢١ ديسمبر ١٩٠٩ .
(٦٩) لطفى السيد : المنتخبات ، ثان ، ص ١٠٨ .
(٧٠) الجريدة ١٣٥٧ ، ١٣٦٥ في ٢٩ اغسطس في ٧ سبتمبر ١٩١١ ، مجموعة أعمال المؤتمر المصرى المنعقد في هليوبوليس عام ١٩١١ الجلسة الرابعة في أول مايو ص ١٠٤ — ١٠٩ .
(٧١) الجريدة ١٣٤٨ في ١٧ اغسطس ١٩١١ .
(٧٢) الجريدة ١٣٣٤ ، ١٣٣٩ في ١ ، ٧ اغسطس ١٩١١ .

هيكل الذى فسر قيام الحرب العالمية الأولى تفسيرا اقتصاديا يرجع الى استئثار انجلترا وفرنسا باستعمار أفريقيا وآسيا (٧٣) .

ولكن هذا الاقتناع بأهمية العامل الاقتصادى فى استقلال الأمم وبنائها وتفسير التاريخ لم يكن جزءا من اقتناع عام بالفكر المادى أو بالمنهج الإشتراكى ، بقدر ما كان تعبيرا عن وضع طبقى فى المجتمع من ناحية ، واتساقا مع فكرة تحقيق « الممكن » من واقع التعامل مع الاحتلال ، الذى أباح الاقتصاد بقدر وامسك بكل السياسة ، من ناحية أخرى ، يزيد المسألة وضوحا ايمان مفكرى الحزب — بلا استثناء — بفكرة الاقتصاد الحر ، لا الموجه ، والتى عبر عنها فيلسوفهم لطفى السيد فيما اسماه «بالليبراليسم» حيث حدد تدخل الدولة متأثرا بالفلاسفة الحريين كسميث ومل وسبنسر وغيرهم ممن ارسوا قواعد لبرالية القرن التاسع عشر الكلاسيكيين — بحماية الوطن من العدوان الخارجى وحماية الأفراد باقامة العدل فى الداخل وما دون ذلك يترك للمواطنين ، وليس للمشرع ان يسلب فردا أو طائفة حق الملكية أو يحد التصرف فيه (٧٤) وانتقد بذلك مبدأ الاشتراكيين الذين أرادوا ان يسودوا بين الناس ، ويقسموا الثروة بينهم او الذين أرادوا أن يعيشوا على الشيوع (٧٥) ، كما فاضت انهر الجريدة بشرح مذهب الحريين واثره ودور الدولة ومغزى تحديده بالولايات الثلاث : البوليس ، القضاء ، الدفاع، وعلة وجود الحكومة (٧٦) ... الخ .

وقد انشأ لطفى السيد عدة مقالات تحمل عناوين « الحريات » منها حرية القضاء وحرية التعليم وغيرها من ٢٠ — ٣١ ديسمبر ١٩١٣ (٧٧) انتقد تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية كالبنوك وقانون الخمسة افدنة وصندوق

---

(٧٣) هيكل : مذكرات في السياسة ، ج ١ ، ص ٦٨ .
(٧٤) الجريدة ٤٤٥ في ٢٣ أغسطس ١٩٠٨ .
(٧٥) لطفى السيد ، التأملات ، ص ٨٩ — ٩٠ .
(٧٦) لطفى السيد : المنتخبات ، ثان ، ص ٦٤ — ٦٥ .
(٧٧) انظر الجريدة ابتداء من العدد ٢٠٥٨ في ٢٠ ديسمبر وحتى العدد ٢٠٦٧ في ٣١ ديسمبر ١٩١٣ .

التوفير « فلا نجد بين أعمال الحكومة عملا يفيد فى الحالة الاقتصادية الا أعمال الرى » (٧٨) وبعد عرضه لمذهب الحريين او الفرديين اعلن بشكل صريح انه يفضل هذا المذهب على مذهب الجماعيين (٧٩) . ولكننا نلاحظ انه رغم تحديده دور الدولة بالوظائف الثلاث الآنفة الذكر لم يكن على اقتناع كامل بالشكل الذى فسره ، بل ربما انتابه شىء من التردد ان لم يكن التراجع فهو يقول بعد كل ذلك « ونستطيع أن نلتمس للحكومة العذر بعض الشىء فى المشروعات الاقتصادية ونبيح لها المداخلة فيها لحماية الزراعة الوطنية والتجارة الوطنية ونشر التعليم ... الخ ... بأن تأخذ على عاتقها تشجيع الحال الاقتصادية وانماء الكفاءة الاقتصادية ، وهذا ميسور ومجرب فى كثير من البلاد » (٨٠) واوضح أن الحكومة لا تستطيع أن تفعل ذلك بدون ان تتدخل بغير الشكل الذى عرضه فلسفيا لطفى السيد .

ومن اقرانه فى حزب الامة ممن آمنوا بهذا الفكر ، على أبو الفتوح ، الذى انتقد تدخل الحكومة فى نظم المصارف واصدارها الاوراق المالية دون غيرها مما يكلفها أعمالا لا تدخل فى دائرة وظائفها (٨١) . كما ترجم عن جيفونس أن الاعمال التى يجب على الحكومة القيام بها اعمال اضطرارية هى الدفاع وتوطيد الأمن وتلافى الثورات واعمال اختيارية وهى ضرب العملة وتوحيد المكاييل وتمهيد الطرقات وترتيب البريد ، وقد حلل عن نفس المؤلف المضار الناشئة عن تدخل الحكومة (٨٢) . وكذلك آمن عبد العزيز فهمى بهذه الأفكار وعبر عنها داخل الجمعية التشريعية وطالب بانتقال أطيان الدمين

---

(٧٨) الجريدة : ٢٠٧٩ فى ١٢ يناير ١٩١٤ .

(٧٩) لطفى السيد : التأملات ، ص ٩٠ ، ٩٣ ، وقد روى المقاد (رجال عرفتهم ، ص ٢٤٢) أنه حين الف أصدقاؤه حزب الاحرار الدستوريين اقترح أن يسمى « الحريين الدستوريين » وحجته أن كلمة الحريين تقابل كلمة ليبرال بالفرنسية والانجليزية والا فماذا نسمى المحافظين خصوم الاحرار هل نسميهم العبيد ؟ » .

(٨٠) لطفى السيد : التأملات ، ص ٨٧ — ٨٨ .

(٨١) جيفونس : الاقتصاد السياسى : مقال ابو الفتوح بالقسم الاخير من الكتاب عن « المصارف والبنوك » .

(٨٢) نفس المصدر ، ص ١٨٩ — ١٩٠ ، ص ١٩٢ — ١٩٣ .

الى الافراد ، فسوف ينفقون عليها اقل مما تنفقه الحكومة لأن الافراد مدفوعين بمصلحتهم الشخصية الى العناية باستثمار اطيانهم اما الحكومة فعمالها لا يهمهم الا مرتباتهم(٨٣) . وفتحى زغلول فى مقدمته الطويلة لترجمته عن ديمولان ابان عن سخطه من اسباب الضعف التى المت بالمصريين فاصبحوا يرجون من الحكومة كل شىء « نطالبها بحفظ حياتنا وخصوبة ارضنا .. الخ ولا ريب اننا اخطأنا فالحكومة وازع لا يكلف الا ما تقتضيه طبيعته ولا واجب عليه ، وحبذ ان ترجع اختصاصات الحكومة الى الحد الادنى وتقلل عمالها الى الحد الادنى وترد الشباب الى المهن المستقلة التى تقتضى الهمة الذاتية والاقدام(٨٤) .

ومن مفهوم مثالى ، يرى أن الفكر هو الاساس ، عبر الدكتور هيكل عن اقتناعه بهذا المذهب ، فراى ان اول حركة صحيحة فى الانسان هى الحركة الفكرية وان سير الأمم تابع لسير الأفكار(٨٥) ومن ثم تدرج من الاقتناع بحرية الفكر الى الدعوة للاستغناء عن الحكومة ، « لأن حر الفكر لا يقبل ما يطلبه الناس الى الحكومة من التدخل فى كل شىء ، فتبقى كالشباب القادر على العمل ولكنه لا يعمل لكونه يجد من ابيه انه يقوم بحاجاته »(٨٦) ، وهو هنا وان كان يردد مفهوم استاذه عن رفض الحكومة الابوية ، الا انه زاد عنه بموقف عملى هاجم فيه قانون الخمسة افدنة ورآه اضغاث احلام ، ما اشبهها باحلام جماعة الاشتراكيين الخياليين ، كما عبر عن ايمانه فيما جاء بالداروينية عن تنازع البقاء فالناس مسوقون فى الحياة بعوامل الطمع والاثرة ... ونوال اعظم نتيجة باقل سبب ، وان من المسائل الاولية فى الاقتصاد ترك الفرد حرا يتصرف فى امواله كيف يشاء(٨٧) . وقد عبر عن نفس الأفكار شاب آخر من

---

(٨٣) مضابط الجمعية التشريعية ، جلسة ١٥ فى ٢٣ مارس ١٩١٤ .

(٨٤) ديمولان ، سر تقدم الانكليز ، ص ٢٥ — ٣٩ عن مقدمة فتحى زغلول ، وكذلك المحاماة ص ٤١٠ لفتحى زغلول .

(٨٥) الجريدة ١٤١٠ فى ٢ نوفمبر ١٩١١ (الحرية المطلقة) .

(٨٦) الجريدة ١٤١١ فى ٤ نوفمبر ١٩١١ (العنوان السابق) .

(٨٧) الجريدة ١٧٤٣ فى ٧ ديسمبر ١٩١٢ .

شباب الحزب المثقفين هو الدكتور يوسف نحاس الذى هتف بالمجتمعين فى مؤتمر هليوبوليس عام ١٩١١ الا يطلبوا من الحكومة الا القيام بواجبها الصحيح « وهو المحافظة على النظام والأمن اما الرقى الاقتصادى والمالى فلا تطلبوه الا من انفسكم » (٨٨) .

واذا كانت هذه افكار مثقفى الحزب حول المسألة الاقتصادية ، والتى دلت على اقتناع كامل بلبرالية اقتصادية ، ودعوة صريحة اليها يتحدد معها دور الدولة وينتفى توجيهها للاقتصاد ، فما هو تصورهم « لمصرية » هذه المعتقدات ؟ أو الى اى مدى اهتموا بالاقتصاد المصرى ، وهل طابقت اقوالهم اعمالهم ؟ ففيما يتعلق بمسألة انشاء بنك وطنى ، فقد ارجعت الجريدة الكثير من أسباب أزمة عام ١٩٠٧ الاقتصادية الى عدم وجود بنوك أهلية ونادت بفتح البنوك وتأسيس الشركات المالية (٨٩) ونشرت اقتراحا يستنهض همة المصريين لانشاء بنك وطنى يكون خير واسطة لحفظ اموالهم ووقايتهم من المصارف الأجنبية(٩٠) وخلال انعقاد الجمعية العمومية فى فبراير ١٩٠٩ تقدم ناشد حنا ، احد مؤسسى الحزب ، باقتراح يعتبر تراجعا بالقياس الى الاقتراح السابق ، مؤداه ان تلفت الحكومة نظر البنك الاهلى الى وجوب تفضيل ابناء البلاد لا سيما المزارعين على غيرهم من التجار المولين الأجانب (٩١) ، وفى اليوم التالى قدم زميل له وهو مصطفى خليل اقتراحا بتعيين لجنة من كبار موظفى الحكومة ومن الماليين والأعيان والتجار للنظر فى تكوين بنك وطنى يسهل المعاملات بمراعاة عدم البخس فى تثمين الاطيان والعقارات وتسهيل التسليف على المحصولات ... الخ (٩٢) كذلك انتقدت الجريدة بلسان شبلى شميل البنك العقارى الذى سمى بالمصرى ورات ان

---

(٨٨) مجموعة اعمال المؤتمر المصرى ، الجلسة الخامسة فى ٢ مايو ١٩١١ ص ١٣٧

(٨٩) الجريدة ٢٦٢ فى ١٧ مايو ١٩٠٨ .

(٩٠) الجريدة ٤٩٠ فى ١٤ أكتوبر ١٩٠٨ (البنك الوطنى اقتراح سليم ديمترى) .

(٩١) مضابط الجمعية العمومية جلسة ٣ فبراير ١٩٠٩ (عدد ٢١ من الوقائع أول مارس ١٩٠٩) .

(٩٢) المصدر السابق ، جلسة ٤ فبراير ١٩٠٩ .

مصر منيت بالاحتلال المالي منذ انشائه (٩٣) . وجعل الدعوة لطفي السيد وقرنها بالدعوة للحرية والاستقلال ، بل يطالب كل مصرى بشراء أسهم البنك المصرى لتقليل اسهمه والعمل على كثرة الثقة بمصر فيصبح لديها رأي في حريتها التى كلها فى يد أوربا وبذلك يزول الاستبعاد المالى (٩٤) ، وحين يبدو أن هذه الاقتراحات ليست اكثر من صرخات فى واد وان الأغنياء يجبنون عن هذه المبادرة وان الحكومة لا تتحرك قيد شعره ، تعرض الجريدة بتوقيع « محب لبلاده » اقتراحا بانشاء بنك وطنى بدون تكليف المصريين شيئا مؤداه ان يتقدم اصحاب الأموال المصريين الى البنوك المصرية بطلب مشاطرة هذه البنوك أرباحها ، ويضعوا نصيبهم من تلك الارباح على جانب بدون ان يمسوه على ذمة انشاء بنك وطنى (٩٥) وعندما انعقد المؤتمر المصرى فى هليوبوليس عام ١٩١١ الذى سيطر حزب الامة سيطرة تامة على جلساته باغلبيته المنظمة(٩٦) قدم واحد من كبار كتاب الجريدة ، وهو يوسف نحاس تقريرا عن حالة مصر الاقتصادية والمالية طالب فيه بانشاء بنك وطنى بمعنى الكلمة يكون راس ماله وطنيا صرفا وادارته العليا مصرية بحتة (٩٧) ، واذا عرفنا أن هناك ٢١ عضوا منهم بسكرتير المؤتمر (الهلباوى) ينتمون لحزب الامة ضمهم مجلس ادارة المؤتمر وعدده ٣٢ عضوا (٩٨) وعرفنا كذلك ان ٣١ من الاعيان قدموا اقتراحات بهذا الشأن الى المؤتمر الى جانب اقتراح الدكتور نحاس ادركنا الدور الذى لعبه حزب الامة فى الدعوة لانشاء البنك حتى تاييد الاقتراح وبدا بالفعل فى اتخاذ خطوات عملية نحو تنفيذه بايفاد طلعت حرب لدراسة المشروع فى أوربا ، وان كان الاقتراح شأنه شأن بقية الاقتراحات قد تأجل

---

(٩٣) الجريدة ٨٢٨ في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٩ (مصر العقارية) .

(٩٤) الجريدة ٨٤٧ في ٢١ ديسمبر ١٩٠٩ (اطلبوا الحرية اطلبوا الاستقلال) ويعتبر لطفى بذلك اول داع لشراء الدين المصرى العام وليس يوسف نحاس كما يقول عبد العظيم رمضان في مقال نصف قرن من كفاح البورجوازية المصرية لانشاء بنك مصر — الكاتب ١٢١ في ابريل ١٩٧١ ، ص ١٨٠ .

(٩٥) الجريدة ١١٢٧ في ٦ ديسمبر ١٩١٠ .

(٩٦) FO. 407-176 part LXXIII, 1911, No. 48, p. 155.

(٩٧) مجموعة اعمال المؤتمر المصرى ، الجلسة الخامسة في ٢ مايو ١٩١١ ص ١٣٨ .

(٩٨) المصدر السابق ، ص ١٨١ — ١٨٢ (اسماء مجلس الادارة) .

بمجرد وفاة رئيسي المؤتمر (٩٩) وعلل لطفى السيد ذلك بأن مسألة البنك لم تفشل وانما وجدت ظروفا صرفت الامة والحكومة عنها ، فهى لم تحيا تماما ولم تمت نهائيا ولكنها موجودة تنتظر ظرفا مناسبا لنموها (١٠٠) ، وعبر عن جبن الاعيان عن تمويل المشروع خوفا من المزاحمة الاجنبية واعتبر هذا لغوا لامحل له من الاعتبار وطالب الحكومة — وهو داعية الاقتصاد الحر — بالتدخل « فالمشروع يتوقف على الشروع فيه تحت حماية الحكومة وبمساعدتها » (١٠١) .

وفى مجال الصناعة اتخذت جريدة الحزب اسلوبا ترشيديا ، فبدلت بمحاولة نزع فكرة احتقار الصناعة من نفوس الناس(١٠٢) ، وعقدت سلسلة من المقارنات بين مصر واوربا جللت فيها وضع الصناعة المصرية وطالبت بقيام الصناعات التى تتوافر خاماتها فى مصر ، ولا تحتاج لرؤوس اموال كبيرة وقدمت قائمة بها ، وملأ ابراهيم رمزى بالدعوة الى قيامها جنبات المؤتمر المصرى(١٠٣) . وطالب بفرض حماية جمركية لحماية منتجات المصانع بعد قيامها ، وعرض امكانية استغلال الانهار والسدود فى توليد الطاقة التى تعوض نقص الفحم ، واشار الى اهمية وجود البترول فى الأرض المصرية(١٠٤) وتبنت الجريدة الدعوة الى قيام تعليم صناعى وجعل التعليم الابتدائى ممزوجا بالصناعة(١٠٥) وناشدت اغنياء مصر تأسيس المدارس الصناعية « فعمل الأفراد يجب أن يتقدم اعمال الحكومة » (١٠٦) ومع ذلك لم يقم الاغنياء بدورهم

---

(٩٩) وقد علقت صحيفة الافكار قائلة « مات حزب الامة ومات المؤتمر معه لانه حزب لا يستفيق الا ليفسد على الوطنيين عملهم ، الحق أن الحزب لا يريد تنفيذ الفكرة لانها تقضى انفاق المال والاعيان شحيحون يضمون اذانهم اذا طولبوا بالعمل » (العدد ٨٢٦ في ١٩ سبتمبر ١٩١٢) .

(١٠٠) لطفى السيد : المنتخبات ، ثان ، ص ١١٠ — ١١١ .

(١٠١) الجريدة ٢٨٠ في ٤ يناير ١٩١٤ .

(١٠٢) الجريدة ١٠٣ في ٩ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٣) مجموعة أعمال المؤتمر المصرى ، الجلسة الرابعة في أول مايو ١٩١١ ، ص ١٠٥ — الجريدة ١٣٧٢ ، ١٣٧٤ في ١٦ ، ١٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٠٤) الجريدة ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ في ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ يونيو ١٩١٥ .

(١٠٥) الجريدة ٣٣٨ في ١٩ ابريل ١٩٠٨ .

(١٠٦) الجريدة ١٠٧٢ في ١٧ سبتمبر ١٩١٠ .

بشكل يتفق ومركزهم فلم نسمع الا عن مدرسة اقامها محمود باشا سليمان فى أسيوط ، كذلك اسس ابراهيم رمزى مصنع التمدن الذى تفتقده نفر من حزب الأمة واعتبره لطفى السيد باكورة الصناعة المصرية على الطراز الحديث(١٠٧) وكان هذا المصنع بالفعل انموذجا طيبا لما نادى به صاحبه .

وقد طالبت الجريدة كذلك مجالس المديريات أن ترسل من حملة الابتدائية بعض التلاميذ الى أوربا ليتعلموا علما وعملا صناعة الاحذية ، وتفصيل الملابس الافرنكية وابداع النماذج (المودة) ... الخ ثم يأتون ليعلموا هذه الصناعة فى مصر(١٠٨) ويبدو أن فكرة الأخذ عن أوربا صناعيا لم تبلغ أكثر من الأمثلة التى عرضتها الجريدة وكلها أمثلة لصناعات تخدم رفاهية كبار الملاك ، بل ان الجريدة أعطت بديلا لعدم ادخال صناعات كبرى فى مصر « فاذا خيرنا بين بقاء القطر عالة فى الصناعة على المعامل الأجنبية ، وقيام شركات أجنبية فيه لسد حاجاته بالمصنوعات المحلية فليس فى وسعنا الا اختيار الأمر الثانى ، لان المعامل الاجنبية فى مصر تزيد فى ثروة البلاد ورخائها وان كانت أرباحها منصرفة الى جيوب غير أهل البلاد » ، وحبذت هذا لأوربا قائلة « ان أجور العمال فى الشرق قليلة ولا حاجة الى أجور النقل والتأمين ... الخ » (١٠٩) بينما عالج فتحى زغلول هذه المسألة واضعا نصب عينيه فكرة التمصير فأعرب عن تأثره من اهمال المصريين الصناعة والجهل بطرائقها « بحيث لم يصبح منا سوى الفعلة والحمالون ومنفذوا ارادة الأجنبى »(١١٠) . وقد انفرد على أبو الفتح بدراسات متخصصة فى الاقتصاد ، جمعها وذيل بها ترجمته لكتاب جيفونس فى الاقتصاد السياسى ، تعتبر بحق دراسات رائدة ومتقدمة فى هذا المجال ، عرفت الاقتصاد السياسى وعرضت لقانون جريشام

---

(١٠٧) الجريدة ١٢٠٦ فى ٢ مارس ١٩١١ وبالمصنع ماكينات لصنع حروف الطباعة وآلات الخراطة والبرادة وسبك الحديد والنحاس وورش للموبيليا والحفر على المعادن وصناعة الاحذية وقد أعلن صاحبه أنه صار ملكا للمساهمين والعمال (مجموعة أعمال المؤتمر المصرى ص ١٠٦) .

(١٠٨) الجريدة ١١١٤ فى ٩ نوفمبر ١٩١٠ .

(١٠٩) الجريدة ٢٥١٦ فى ٩ يونيو ١٩١٥ (الضريبة الجمركية وانشاء المعامل فى مصر بتوقيع ف. أ) ونظنه فكرى أباظة .

(١١٠) ديمولان : سر تقدم الانكليز ، ص ٣٥ عن مقدمة فتحى زغلول .

وعملات الورق والمصارف والبنوك ، واحتوت مقارنات بين مصر وأوربا ، كما احتوت دراسة عن الأجنبى والعقارات المصرية والبنك الزراعى (١١١) .

واذا ما قلبنا صفحات « الجريدة » فلن يكون صعبا أن نخرج بانطباع عام هو أن هـذه الجريدة يحرر أبوابها الداخلية نفـر من المهتمين بالمسائل الزراعية أو ان القسط الاكبر منها موجه الى المشتغلين بالزراعة ، وهـذا أمر طبيعى لجريدة يحررها أبناء كبار الملاك وبأمـوال آبائهم ؛ وبشكل عام اتخذت عنايتها بالزراعة ـ كالصناعة ـ طابعا ارشاديا خلاصته اختيـار أنسب مواعيد الزراعة وأفضل أنواع المحصولات واساليب المقاومة ونحـو ذلك . وقـد حثت الحكومة على ارسال بعثات زراعية الى البرازيل وغيرها من البلدان التى تقرب حالة جوها من حالة جو مصر لدراسة ما يحسن ادخاله من الزراعة الرابحة(١١٢) . وقـد هللت الجـريدة بلسان يوسف البستانى الذى لا ينتمى لطبقـة كبار الملاك لاقتراح انشاء نظارة للزراعة أو تحـويل الجمعية الزراعيـة الى نظـارة ، وحين اقترح خالد لطفى ـ من مؤسسى الحزب ـ ذلك على الجمعية العمومية عام ١٩١٢ ، وقف ضده عضوان من حـزب الأمة هما الشيخ الدمرداش وحسين عابدين وكانت حجة الاول هى نقص الاختصاصيين بينما اتهم عابدين صاحب الاقتراح بالتعجل والرغبة فى تكليف المـالية مصروفات عظيمة(١١٣) ولكن تقـرر بالاجماع تبليغ الاقتراح للحكومة دون أن يعضد صاحبه من أعضاء حـزب الأمة ، الذين نكصوا عن ذلك بسبب رغبتهم فى عدم تدخل الحكومة فى نشاطهم . وعلى العكس من ذلك نالت مسألة النقابات الزراعية تعضيدا واسعا من الحزب ، بل لقد استضاف

---

(١١١) جينونس : الاقتصاد السياسى ، ترجمة على أبو الفتوح وآخران ، نبذ اقتصادية لعلى أبو الفتوح من ص ٢٠٥ ـ ٢٤٣ منشورة بنصها .

(١١٢) الجريدة ٩١٢ في ١٢ مارس ١٩١٠ وقد ضرب شاب من اسرة عبد الرازق المثل لذلك حين أرسلته أسرته الى أمريكا ليدرس الزراعة فوصف لشركة متخصصة ما يشكو منه الفلاح من وسائل الزراعة فتم التوصل الى محراث جاء به الى مصر بصحبة مهندس وهو عبارة عن أتومبيل يدار بالبنزين ويسوقه نفر واحد ولا ينفق عليه الا نحو الريال في اليوم وقد جرباه فكانت النتيجة مرضية (الجريدة ١١٣٩ في ١٨ ديسمبر ١٩١٠) .

(١١٣) مضابط الجمعية العمومية جلسة ٣٠ مارس ١٩١٢ (عدد ٥٣ من الوقائع ٦ مايو ١٩١٣) .

الحزب فى ناديه عمر بك لطفى — من انصار الحزب الوطنى — ليحاضر عن النقابات الزراعية واثرها(١١٤) حتى لقد زار احد اعضاء الحزب انجلترا وايرلنده وفرنسا لدراسة موضوع النقابات الزراعية فزارها وضرب لمواطنيه النماذج بها(١١٥) . وقد تقدم امين الشمسى باقتراحها للجمعية العمومية عام ١٩٠٩(١١٦) ورآها لطفى السيد ميدانا لتربية الفلاحين اقتصاديا ، واشترط ان تكون حرة ليس للحكومة فى امرها الا حمايتها وتشجيعها(١١٧) وهذا يفسر تاييدهم لها فقد كانوا يعتقدون انها سوف تكون حرة او انها يجب أن تكون كذلك . وعندما ناقشت الجمعية التشريعية قانون شركات التعاون فى يونيو ١٩١٤ وطالبت الحكومة بأن يصبح لها الحق فى حلها اذا ما اشتغلت بالسياسة ، طالب سعد زغلول وعبد العزيز فهمى بجعل هذا الحق للقاضى مع كفالة حرية الدفاع والاستئناف للشركات وطلب الشيخ الدمرداش اخذ الآراء حول منح الحكومة هذا الحق ، فصوت جميع أعضاء حزب الأمة وسعد زغلول معهم — عدا الشيخ الدمرداش — لغير صالح الحكومة(١١٨) .

والغريب ان الجريدة — بلسان يوسف البستانى — ايدت اقتراحا للبروجريه مؤداه ان يصدر قانون خاص يكون نافذا فى المصريين والأجانب معا ليمكن دخول الاوربيين وسائر الملاك فى سلك النقابات ، وعللت بأن دخول الأجانب فيها لا يبقى مجالا للتخوف مما يبعد عنها كل نزعة سياسية(١١٩) وابانت ان النقابات لا تنفع الا صغار الفلاحين واقترحت انشاء نقابة لكبار الملاك للمحافظة على التوازن فى السوق المصرى ، وضربت المثل بنماذج لنقابات ارباب الأملاك فى اوربا(١٢٠) ، وبذلك اصبح التمييز بين جعل عناصر النقابات وطنية صرفة او دخول الأجانب فيها مسألة غير ذات بال لكاتب

---

(١١٤) الجريدة ٥٢٥ فى ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨ (ملخص الخطبة) .
(١١٥) الجريدة ٨١١ فى ٧ نوفمبر ١٩٠٩ .
(١١٦) مضابط الجمعية العمومية ، جلسة ٣ فبراير ١٩٠٩ .
(١١٧) الجريدة ٢٠٨٠ فى ١٤ يناير ١٩١٤ .
(١١٨) مضابط الجمعية التشريعية جلسة ١٦ يونيو ١٩١٤ .
(١١٩) الجريدة ١٥٤٦ فى ١٣ ابريل ١٩١٢ (علاقة الحكومة بالنقابات ى.ب) .
(١٢٠) الجريدة ٢١٣٠ فى ١٢ مارس ١٩١٤ (نزول اسعار القطن ح.ب) .

معظم افتتاحيات الجريدة — فى غياب لطفي السيد — بينما اصبح التمييز بين مصلحة صغار الفلاحين وكبار الملاك مسألة على قدر كبير من الأهمية .

* * *

كانت الاشتراكية احدى القضايا او الأفكار التى حملها البحر من اوربا الى مصر ، أو مما يلفظه البحر بتعبير الجريدة ، وكان كتابها على درجة من الوعي بها ، حتي لنستطيع ان نستخلص موقفهم منها باعتبارها مسألة طرحت في زمنهم ، وكان عليهم ان يدلوا فيها بدلوهم ، وقد اتخذ الاهتمام بها شكلين أساسيين أولهما التبصير بالفكر الأوربى المعاصر من واقع التثقيف فحسب ، وثانيهما يحمل طابعا تطبيقيا — ان جاز ذلك — يتعلق بامكانية تطبيقها في مصر ومداه . وعن الشكل الأول فقد نشرت الجريدة (١٩٠٧) ملخصا عن مجلة القرن التاسع عشر بعنوان « الاشتراكية الحاضرة » ركزت فيه على وجهة النظر القائلة بأن الاشتراكية مذهب اقتصادى ، اما ما يتمسك به بعض الاشتراكيين ومتطرفى الآراء فى مسائل الزواج والدين فهى بعيدة عن الاشتراكية(١٢١) ، ولم ينقطع هذا الاهتمام من صفحات الجريدة حتى آخر عهدها وكان آخرها سلسلة مقالات (١٩١٤) لعبد المجيد نافع حول المذاهب العصرية ومن بينها الاشتراكية(١٢٢) ، وقد حمل هذا الاهتمام فى طياته معنيين واضحين أولهما النفور والرفض ، وثانيهما الاعجاب ، والغريب حقا ان الرافضين لم يمهروا مقالاتهم بأسمائهم فهى اما بتوقيع (بعضهم) او (كاتب) او (الراوية) أو غفل من هذا وذاك ، وكان اول انتقاد لها هو اعتبارها خيالية والا فأين الاشتراكيون المصريون الذين اذا جاءتهم الطيبات رفضوها وجعلوا يطلبونها بعرق جبينهم ؟ » (١٢٣) ونشرت أحاديثها عن مدارس الإشتراكية فى انجلترا من قبيل التفكه(١٢٤) بل ان « بعضهم » قد أبدى اعجابه بالاشتراكية فى شكل جعلها أدعى للسخرية حيث ركز على فائدة

---

(١٢١) الجريدة ١٦٢ في ١٧ سبتمبر ١٩٠٧ .
(١٢٢) الجريدة ٢٢٥٦ ، ٢٢٦٠ في ٨ ، ١٢ أغسطس ١٩١٤ .
(١٢٣) الجريدة ١٨٧ في ١٦ أكتوبر ١٩٠٧ .
(١٢٤) الجريدة ٣٩٨ في ٢٩ يونيو ١٩٠٨ .

الاشتراكية فى الحفلات الرسمية حين لا يتبل انسان يد رئيسه أو سيده(١٢٥)، وطالما ردد الكاتب فى تحليلاته حول الاشتراكية فى انجلترا الفاظا جعلت الاشتراكية مجرد اتهام بل لقد حصر معناها فى أنها ليست سوى نزاع بين العمال وأصحاب المعامل(١٢٦) أما الاعجاب بها فقد بدا واضحا فى مقالين مستفيضين بقلم حسين رشدى (ناظر بشبين القناطر) ابدى فيهما الكاتب اهتماما كبيرا بالاشتراكية حتى لقد عاد بها الى جذور عربية واسلامية وأتى بأمثلة لبعض شخصيات من التاريخ الاسلامى ليؤيد فكرته ، كما ابدى تفاؤلا من تحقق فكرة الاشتراكية وذكر أن المعنى العربى للفظة اشتراكية لا ينطبق تمام الانطباق على الكلمة الانجليزية « سوشيالزم » التى معناها اصلاح المجتمع الانسانى(١٢٧) . وقد أشاد بعضهم بانتصار الاشتراكية فى انتخاب فرنسا ، وذكر أنها مجهولة فى مصر مع انها تخطو خطوات واسعة فى أوربا نحو تحصين مبادئها حتى ان الوزارة الفرنسية فيها ثلاثة من الاشتراكيين المعتدلين(١٢٨) ، بينما بشر كاتب آخر العمال بأن الاشتراكية فى دور العمل ولخصها لهم بأنها اصلاح حال الفقير بتعيين حد لثروات الأفراد وتوزيع ما يزيد على الفقراء واقامة الحكومات وصية على الفقراء(١٢٩) .

أما الشكل الثانى لاهتمام الجريدة بالاشتراكية ، والذى حمل طابعا تطبيقيا فهو بحساب الشكل الأول يقف موقفا معتدلا يأخذ من الاشتراكية بقسط أو يؤمن بالاشتراكية المعتدلة ، وبطل هذه الدعوة بلا منازع هو يوسف البستانى الذى تعجب من تقزز الكثيرين من كلمة الاشتراكية ، واعتقد أن ذلك

---

(١٢٥) الجريدة ١٦٢٦ في ١٥ يوليو ١٩١٢ (فائدة الاشتراكية — بعضهم) وبعضهم هذا من الاسماء المستعارة التى كانت تكتب بالجريدة ومن خلال الحديث عن الاشتراكية في انجلترا بالذات وروح أسلوب الكاتب يبرز الى مخيلتنا اسم احمد فتحى زغلول .

(١٢٦) الجريدة ١٧٧٩ في ٢ ديسمبر ١٩١٢ (الاشتراكية في انجلترا — بعضهم) و ٢٤٦٨ في ١٥ ابريل ١٩١٥ (الاشتراكى ليبنخت — بدون توقيع) .

(١٢٧) الجريدة ١٥١٤ ، ١٥٢٠ في ٥ ، ١٢ مارس ١٩١٢ (المقالان بعنوان الاشتراكية) والامثلة التى ضربها لعبد الله الشيمى عام ٨٩٣ وأحد قضاة العسكر يدعى بدر الدين عام ١٤١٣ م .

(١٢٨) الجريدة ٩٩٣ في ١٥ يونيو ١٩١٠ (الانتخابات في فرنسا لصادق ميخائيل طالب يليون) .

(١٢٩) الجريدة ٢٠٨٧ في ٢٧ يناير ١٩١٤ .

بسبب نفورهم من الاشتراكية المتطرفة ، واستحسن أن تتخذ مصر التدابير القانونية التى تحول دون احتكار الأراضى والاموال فى طبقة معينة لتتمتع الأمة كلها بالعيش الرغيد لان هذا كله من روح الاشتراكية المعتدلة النافعة(١٣٠) واتخذ من تعدد جمعيات العمال فى مصر دليلا على انتشار روح الاشتراكية فيها ، واعتبر هبوب الطوائف المختلفة من العمال الى النظر فى حقوقها ، حركة مباركة(١٣١) وملأ تعليقاته على تلغرافات أوربا انتقادا للتطرف وتحبيذا للاشتراكية المعتدلة(١٣٢) وقد دعم البستانى ايمانه بالمناداة بحرية العمل وقدسيتها « فاذا كان عمال احد المصانع لا يقبلون شروط اصحاب المال وجب أن نحترم ارادتهم » (١٣٣) .

وقد يكون يسيرا أن ندرك أن الذين آمنوا بالاشتراكية (ناظر المدرسة — طالب ليون — البستانى) ليسوا ممن ينتمون فى اصولهم لطبقة كبار الملاك أو أصحاب الثروات ولا يغير من المعنى كثيرا ان يكون احدهم من ابناء هذه الطبقة بل لعله من ابناء الطبقة الوسطى الذين تلقوا العلم فى أوربا ، ممن زعزع الفكر المعاصر ما بقى فى نفوسهم من أحاسيس طبقية . أما ذلك الفريق من مفكرى الحزب الذين أبانوا عن افتتانهم بالليبرالية ، كانوا على النقيض يهاجمون الاشتراكية هجوما بينا ، فلطفى السيد يقول لنواب الجمعية التشريعية « اتركونا من الاء المذاهب الاشتراكية فنحن الى الحرية أحوج منا الى اى شىء آخر » (١٣٤) ويظل يهاجم الاشتراكية من منطق الوعى الكامل بها وان كنا نلمح لديه ايمانا خفيا بانتشارها ، « فاذا كان لابد لنا من اعتناق المذاهب الاشتراكية فلنرجىء ذلك الى أن تكون كل ضحية يقدمها

---

(١٣٠) الجريدة ٨٤٠ فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٩ .
(١٣١) الجريدة ٦١٩ فى ٢٤ مارس ١٩٠٩ .
(١٣٢) الجريدة ١٠٩٤ فى ١٦ اكتوبر ١٩١٠ .
(١٣٣) الجريدة ١٣٣٤ فى اول اغسطس ١٩١١ .
(١٣٤) لطفى السيد : المنتخبات ، ثان ، ص ٦٣ وليس هذا الموقف من لطفى السيد بغريب على من استمد آراءه حول التقدم والحكومة النيابية ودور التعليم ووظائف الدولة من الفكر الانجليزى وبالذات افكار لوك وبنتام ومل وسبنسر . انظر : على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى ، ص ٦٦ .

الفرد تعود منفعتها على مجموع الأمة(١٣٥) ، وقد تعرض للنقد مرتين بسبب موقفه من الاشتراكية ، مرة حين تحدث عن دعوة الأشتراكيين للسلام فذكر انهم يحاربون الحرب ويتعشقون السلام ويعقدون الاجتماعات للاحتجاج على القتال ثم يقيمون حربا شعواء هى حرب الطبقات(١٣٦) فرد عليه لطفى جمعة بأنهم لايكرهون الحرب اذا كانت الجند تحاربها لذاتها او لمصلحة الأمة ولكنهم يكرهونها اذا كانت تحارب وتفنى لمصلحة الطبقات المالية الفنية وانهم يكرهون السلام وحقوقهم مهضومة(١٣٧) وقد أبان جمعة فى رده عن ايمان عميق بالاشتراكية وخاصة قوانين الجدل والتفسير المادى للتاريخ . والمرة الاخرى حين كتب لطفى سلسلة مقالاته عن « الحريات » ودعا الى مذهب الحريين ، فعلق عليها كاتب بتوقيع (حقوقى ديمقراطى) وأبان للطفى انه اغفل الاصلاح الاجتماعى الذى يدعو اليه الأحرار ، فالاصلاح الاجتماعى افعل فى النفس من كتابات توكفيل وبنتام ومل ، وذكر أن لطفى قد اقترب من الاشتراكية حين طالب بجعل التعليم الأولى اجباريا ومجانيا ، لكن لم لا يكون التعليم بجميع ادواره مجانيا ، فاذا كان من أركان مذهب الحريين افساح الميدان للتزاحم على الحياة فهل من الحرية والمساواة ان تسلخ شخصا بالتعليم العالى وتدعه يصرع من هم اقل منه علما ؟ وفى نهاية نقده أوضح — مشيرا الى لطفى — ان كثيرا من الديمقراطيين السياسيين لايفقهون لماذا تمزج قضايا الاقتصاد والاجتماع بقضايا السياسة(١٣٨) .

وقد ترجم فتحى زغلول عن لوبون خيالية المذهب الاشتراكى الذى قلب الدنيا راسا على عقب وانه يمشى بالأمم الى الاستعباد(١٣٩) كما ترجم عن ديمولان نفس المعنى(١٤٠) . بل ان ايمانه بالفردية قد وقف حائلا دون

---

(١٣٥) الجريدة ٢٢٠٧ في ١١ يونيو ١٩١٤ .

(١٣٦) الجريدة ١٧٤١ في ٤ ديسمبر ١٩١٢ .

(١٣٧) الجريدة ١٧٤٦ في ١٠ ديسمبر ١٩١٢ (الحرب والسلام لحقوقى لطفى جمعة والكاتب على ما نعرف ممن ينتمون للحزب الوطنى) .

(١٣٨) الجريدة ٢٠٩١ في ٢٦ يناير ١٩١٤ (الاصلاح الاجتماعى لحقوقى ديمقراطى) .

(١٣٩) لوبون : سر تطور الامم ص ٤ — ٥ ، وكان لوبون من اشد خصوم الاشتراكية وملأ صفحات كتابه بالهجوم عليها . أنظر ص ٤٣ ، ص ١٤٦ — ١٤٧ مثلا .

(١٤٠) ديمولان : سر تقدم الانكليز ، ص ٣١٥ — ٣٢٤ .

ايمانه بالاشتراكية حتى جعله من اوائل ناقديها(١٤١) ، وذلك لاعتناقه مذهب الحريين — كما يذكر لطفى السيد — فلو كان اشتراكيا لما عمد الى ترجمة «بورجار» بل ترجم احد الاقتصاديين الاشتراكيين(١٤٢) . كذلك كان موقف هيكل من الاشتراكية ، يوضحه ولاؤه للفردية(١٤٣) .

ولم يكن ذلك موقف مفكرى حزب الامة من الاشتراكية باعتبارها قضية فكرية معاصرة فحسب ، بل تخطوا ذلك الى حدود الموقف القائم على القبول او الرفض والذى اتضح من خلال موقفهم من المسألة الاجتماعية فى مصر . واول مقطيات هذا الموقف هو ايمانهم بالتفاوت الطبقى ، وتجاهل الجمهور ان لم يكن ازدراؤه ، او ما عبروا عنه بالراى العام ، فكاتبهم الاول ، وهو يخاطب الناس من عل يذكر ان اصلح الناس لقيادة الجماعات هم الخواص الذين وفتوا الى التصنع بالنزول الى غمار الجمهور يشاركونه مشاعره الغليظة(١٤٤) وهيكل نقل عن قاسم امين تعريفه للراى العام « ما هو الراى العام ؟ اليس هو الجمهور الابله عدو التغيير خادم الباطل » (١٤٥) ، والهلباوى وصف السواد الاعظم من الامة بانهم شخص واحد عديم التبصر بالحقائق(١٤٦) .

واذا كان كرومر قد تاه فخرا بانه القى الكرباج (١٤٧) فان لطفى السيد قد طالب بعودته ، وايدت الجريدة الدعوة — التى تبنتها صحيفتا الوطن والبورصة اجبسيان — لاعادته حيث افضى الغاء هذه العقوبة الى نتيجة سلبية ، فليس فى العقوبة البدنية شىء من الجور بشرط ان تحكم بها المحاكم وتنفذ تحت اشراف طبيب (١٤٨) ، وباحثة البادية ذكرت انه لا يمكن ان يتساوى

---

(١٤١) Ahmed, J.M. The Intellectual Origins. p. 46.

وقد ذكر على الدين هلال فى كتابه (التجديد فى الفكر السياسى ص ٦٨) ان فتحى زغلول ليس اول من انتقد الاشتراكية كما يقول جمال محمد احمد .

(١٤٢) الجريدة ٢١٧٨ فى ٩ مايو ١٩١٤ .

(١٤٣) شفيق غربال : الدكتور هيكل ، مقال بكتاب تذكارى عنه ، ص ١٨٣ .

(١٤٤) لطفى السيد : المنتخبات ، ثان ، ص ١١٨ .

(١٤٥) هيكل : فى اوقات الفراغ ، ص ١٢٥ ، وقاسم امين : كلمات ، ص ٢٦ .

(١٤٦) المقطم ٥٢١٠ فى ١٥ سبتمبر ١٩٠٦ (حديث لهلباوى بك) .

(١٤٧) Cromer ,Modern Egypt pp. 733-790.

(١٤٨) الجريدة ١٥٩٥ ، ١٦٠٦ فى ٩ ، ٢٢ يونيو ١٩١٢ .

البشر فينبغى أن يلزم كل حده لئلا يكون مثلنا كالضفدع أرادت أن تبلغ مبلغ الثور فاستمانت بالماء فانفجر جوفها فماتت (١٤٩) . كل هذا وذاك ينم عن احساس بالتمايز الطبقى راسخ فيهم نتيجة وضع اجتماعى يعيشونه ، فى الوقت الذى غفلت فيه أحاديثهم وكتاباتهم عن التعبير عن مسئوليتهم ، كصفوة ، ازاء هذا المجتمع ، فالسمة الواضحة للجريدة انها ليست موجهة لعامة الشعب ، ومن ثم كان اهتمامها بقضاياه هزيلا وعارضا ذلك ان اهتمامها بقضايا الطبقة وفكرة الصفوة كانا يحولان دون ذلك ، أو يؤثران الى حد كبير فى نوعية هذا الاهتمام . والأمثلة عديدة ، فعندما تدمت محافظة العاصمة مشروعا يخول البوليس حق التدخل لصالح الساكن المدين الذى يخلى مسكنه وفاء للايجار ، علقت الجريدة بأن ذلك لا يتفق مع مبدأ حفظ الحقوق ، وتساءلت : كيف يستطيع صاحب الملك أن يحفظ حقه (١٥٠) ؟ وقد اقترح الشيخ الدمرداش انشاء مجلس بلدى للعاصمة ، وان تكون قاعدة انتخابه هى الأملاك العقارية البنائية ، ولا يلتفت الى الطوائف والاجناس الساكنة بالقاهرة لأن أكثر العدد من الفقراء الذين لا يهمم المجلس البلدى (١٥١) ، وقد رأينا موقفهم من قانون الخمسة أفدنة ، وكذلك اقتراحهم انشاء نقابة لكبار الملاك ولم يقف الاهتمام بقضايا الطبقة عند هذا الحد ، فقد طالبت الجريدة بامتيازات كبيرة للعمد ، واقترحت على الحكومة ان تترك انتخابهم للأهالى دون تدخل وان تشترط أن يكونوا من أكبر العائلات . وتمنحهم الحرية التامة فى اختيار الخفراء ومشايخهم من الطبقة العليا أو الوسطى (١٥٢) ، بل اقترحت تشكيل نقابة للعمد فى كل مديرية تنوب فى الدفاع عن صوالحهم (١٥٣) ، ولم

---

(١٤٩) مجد الدين حفنى ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٢٢٦ ، ومنصور فهمى محاضرات عن مى ، ص ٨٢ .

(١٥٠) الجريدة ١٩٢٣ في ٧ يوليو ١٩١٣ (وقد أجابهما على ذلك أحد قرائها بأن القانون حفظ حقوق الملاك بالضمانات التى خولها لهم كالحجز التحفظى ومتابعة المستأجر والحجز على منقولاته في محله الجديد (عدد ١٩٢٥ في ٩ يوليو ١٩١٣) .

(١٥١) ضابط الجمعية العمومية ، جلسة ٢ مارس ١٩٠٧ .

(١٥٢) الجريدة ٤٣٥ في ١١ أغسطس ١٩٠٨ (نقد الأمن العام في الأتاليم ، افتتاحية عطيه شمس الدين) .

(١٥٣) الجريدة ١٩١٦ في ٢٩ يونيو ١٩١٣ (لحسن يونس عمدة منفلوط) .

تشغل لطفى السيد سوى مسألة ادخال أولاد الفقراء حديقة الازبكية مجانا فطلب من الحكومة ان تكون اكثر عدلا وادنى ديمقراطية فتستغنى عن رسم الدخول ... » (١٥٤) .

وبنفس النظرة الرومانسية ينظر لطفى الى الفلاح المصرى فلا يرى فيه غير نفس صبورة مملوءة بالرضا ، يمر به المترفون فلا يهيج نفسه المطمئنة هائج الحسد وحسبه من الحياة أن الله غير مضيع اتعابه سدى ، ولا يتطرق حديثه الى الفلاح الا ويغرقه فى الحديث عن كرم النفس وعدم النظر الى ما فى ايدى الناس (١٥٥) ، بيد ان الجريدة لم تعدم من دافع عن الفلاح ، وان كان الكاتب من غير كبار الملاك أو أبنائهم فكتب يوسف البستانى تحت عنوان «ارحموا الفلاح» معددا المتاعب والارزاء التى حلت بالفلاح ، ولا يفتأ يتحدث عنها ويقترح القوانين التى تنقذه وتضمن له الحياة كتخفيف الديون وحفظ الأطيان القليلة فى يده ، وانشاء النقابات واقتراح اصدار قانون « ملك العيلة» ونحو ذلك (١٥٦) ، كما نجد آخرا من الكتاب يطلب الموت للفلاح « فمسألة الفلاح المصرى اليوم مسألة اجتماعية توجب الاهتمام بها وهى تهم الحكومة قبل كل انسان » (١٥٧) ، بل ان منهم من ابان قيمة الفلاح فى الاقتصاد القومى فلولاه لما قامت للحكومة قائمة ولما ربحت الشركات الأجنبية والبنوك العقارية والتجارية ، وتعجب واستنكر كيف يقترض الفلاح الجنيه بفائدة مئة فى المائة فى السنة وطلب الى القائمين بأمر هذه البلاد انقاذه من الفقر والديون والآفات (١٥٨) . ويبدو ان الجريدة كانت فى بداية عهدها تجتذب الشباب المثقف للكتابة فيها بتشجيعه بنشر رسائله اليها ، كما انها تحاول ان تكسب شعبية فى اوساط المثقفين بوجه عام ، وكذلك فان الاهتمام بهذه المسائل كان جزءا وان عفويا من اهتمام أكبر وهو الأزمة المالية التى احدقت بالبلاد وبلغت الذروة عام ١٩٠٧ .

---

(١٥٤) الجريدة ٧٠٦ فى ٥ يوليو ١٩٠٩ .

(١٥٥) الجريدة ٥٩٥ فى ٢٣ فبراير ١٩٠٩ ، ٢٠٧٩ فى ١٣ يناير ١٩١٤ .

(١٥٦) الجريدة ٥٢٥ فى ٢٨ ديسمبر ١٩٠٨ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ فى ٢٨ فبراير واول مارس ١٩١١ .

(١٥٧) الجريدة ٥١٦ فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٨ (أغيثوا الفلاح لعبد العليم صالح المحامى) .

(١٥٨) الجريدة ٧٢٧ فى ٢٩ يوليو ١٩٠٩ (بتوقيع مفكر) .

أما العامل المصرى فلم يكن أسعد حظا فى اهتمام جريدة حزب الأمة به، فلم تفارق لطفى السيد نغمته حين وصف العامل بأنه يظل نهاره يعمل وروحه الموسيقية تجعله يغنى من غير ملل ، ووصفه بالقناعة والانقة(١٥٩) ، وكتب هيكل أن من أسباب تعدى العامل الفقير على الاغنياء أن الغنى الكسلان هو الذى يضع الرغيف أمام عينه ، وحاول بطرف خفى الاشارة الى عقم حق العمال فى الاضراب ، « وانى لهم المثابرة مهما كانوا قد استعدوا لها ، تلك المثابرة التى يستحيل وجودها مع الضغط على الأجور » (١٦٠) : وقد دأبت الجريدة على بذل النصح للعمال المعتصبين ، وكانت الاعتصابات قد بدأت تتوالى فى تلك الفترة ، فذكرت أن أحسن بضاعة تعرضها على جماعة المعتصبين والمضربين هى بضاعة النصح (١٦١) . وكان البستانى أكثر المهتمين بقضايا العمال فأخذ على عاتقه المطالبة باعتدالهم وأيد مطالبهم واعتبرها عادلة ، وطلب الى المتظاهرين ان يؤلفوا قبل كل مظاهرة لجنة تعين خطيبا وتعرض خطبه على بعض المحامين لينزع منها ما يخرجها عن الحد القانونى (١٦٢) ، وقد وجد فى اعتصاب عمال السكك الحديدية شيئا من روح الاشتراكية « فأرباب العيال وبؤساء العمال ينفقون سواد العين ودم القلب ولا يذوقون طعم الراحة يوما فى الأسبوع ولا يسمعون سوى دعوى كلها بهتان »(١٦٣) . وقد اقترح على الحكومة، عندما وقع اعتصاب عمال الترام، النظر فى سن قانون للعمال موافق لحالة مصر من الجهة الاجتماعية وجهة الامتيازات الاجنبية ثم يقضى ايضا بأن تتنبه لامور عديدة اغفلتها ايام عقدت العقود بينها وبين الشركات الاجنبية التى تحتكر جهود العامل المصرى (١٦٤) . وقد اخذت الجريدة الشفقة بفقراء العمال فنشرت استغاثات الكتبة الخارجين عن هيئة العمال فى بوليس مصر الى ناظر الداخلية ، وكذلك شكوى عمال النسخ بمحكمة الاستئناف الاهلية الى ناظر الحقانية ، وكلهم يشكون الفقر

(١٥٩) الجريدة ٥٩٥ في ٢٣ فبراير ١٩٠٩ .
(١٦٠) الجريدة ٥٢٦ في ٢٩ نوفمبر ١٩٠٨ .
(١٦١) الجريدة ٤١ في ٢٧ ابريل ١٩٠٧ .
(١٦٢) الجريدة ٤٣٨ في ٧٥٣ في ١٥ ، ٣٠ اغسطس ١٩٠٩ .
(١٦٣) الجريدة ١٠٩٨ ، ١١٠٠ في ٢٠ ٢٣ أكتوبر ١٩١٠ .
(١٦٤) الجريدة ١٣٣٨ في ٦ اغسطس ١٩١١ .

وضنك العيش(١٦٥) ، وقد يفسر ذلك مواجهة الحزب فى مطلع عام ١٩٠٨ بموجة الانشقاقات واحداق عداء الخديوى والحزب الوطنى به مما جعله يلتمس الخلاص لدى من كان بعيدا عن قضاياهم وقد استمر الاهتمام ايضا خلال عام ١٩٠٩ فتبنت الجريدة قضية وكلاء المحامين وافسحت لهم قاعة الحزب للاجتماع وخطب فيهم الهلباوى (١٦٦) ، واعلنت تاييدها لمطالب عمال السكك الحديدية وطلبت ايجاد جامعة تربطهم مع بعضهم بصلة الاتحاد والمنفعة امثال الجمعيات الأوروبية (١٦٧) ، ومع اشتعال الحرب العظمى واحساس العمال المصريين بوطنيتها ، وتخلى الاعيان عن تمويل الجريدة ، وتحمل جيل الشباب مسئولية استمرار تحريرها ، انسبجت صدرها لظلامات العمال الذين تعطلوا بسبب اجراءات الحرب ، وابدت عطفا شديدا على قضاياهم (١٦٨) .

* * *

وترتبط بالمسألة الاجتماعية قضيتان على غاية من الاهمية هما قضيتا التعليم والمرأة ، فبالنسبة للقضية الاولى ، وان اعتبرت من المسائل الاجتماعية ذات الطابع الاصلاحى ، الا انها فى نظر الجريدة من صميم العمل السياسى لحزب سياسى ذى جريدة سياسية من اخص واجباتها ان تضع على بساط البحث صورة حال الأمة فى التربية والتعليم (١٦٩) ، ولعل هذا يفسر مدى تناول كتاب الحزب ومفكريه لهذه المسألة التى نالت اهتماما من شتى الاتجاهات المعاصرة لهم ، كما كانت الدعوة الى مجانية واجباريته والتوسع فيه قاسما مشتركا لبرامج شتى الاحزاب المعاصرة ، وان كانت لدى حزب الأمة قد شغلت قدرا كبيرا من برنامجه ، برغم أن تناولهم لها قد تأثر بمنطلقهم ووضعهم الاجتماعى ، وخير دليل على ذلك موقفهم من مسألتى الكتاتيب والتعليم المالى

---

(١٦٥) الجريدة ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، فى ١٦ ، ١٨ يناير ١٩٠٩ .
(١٦٦) الجريدة ٦٨٢ فى ٧ يونيو ١٩٠٩ .
(١٦٧) الجريدة ٧٢١ فى ٢٢ يوليو ١٩٠٩ .
(١٦٨) الجريدة ٢٢٦٧ فى ١٦ أغسطس (خلو العمال من نقابة ظنطا) ، ٢٢٧٤ فى ٢٣ أغسطس (العمال العاطلون بالاسكندرية) ، ٢٢٧٧ فى ٢ سبتمبر ١٩١٤ (مظاهرة العمال) .
(١٦٩) الجريدة ٨٦٨ فى ١٩ يناير ١٩١٠ ، ١٦٨٧ فى ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ .

من ناحية ، كمـــا تأثرت بمـــدى ثقافتهم وايمانهم بالفكر الغربى فيما يتعلق بالتحديث والتغريب من ناحية أخرى .

لقد دعت الجريدة الى الاهتمام بالتعليم الأدنى وعلى الاخص بالكتاتيب ودعت الى تطويرها محبذة دعوة كرومر ، وتساءلت هل يجب علينا قياما بالوطنية ان نخرب الطرق الزراعية لانـــه ربمـــا كان وراء انشائها غرض ضار ؟ (١٧٠) متناسية ان هذا التركيز على الكتاتيب كان على حساب مستويات التعليم الأخرى وفروعه أو على الاقل ليس جزءا من خطة عامة لاصـــلاحه باعتباره من الكفاءات التى ينال بها الاستقلال يتسق وتفكيرهم ودعوتهم . ولكن فروع التعليم الأخرى لم تلق نفس الاهتمام بقد ان غطى عليها شعـــار « الكتاتيب هى الأساس » (١٧١) . كذلك فان دعوة مفكرى الحزب الى الالزام والمجانية لم يتعد حدود التعليم الابتدائى ، كما أن اجباريته تعنى تعليم الناس القراءة والكتابة فقط ، وقد طمأن لطفى السيد الأعيان بأنه لا خوف من أن يصبح الناس قارئين وفلاحين فى آن واحد ، نصف اليوم فى الكتاتيب والنصف الآخر فى الغيط ، فقد كان يعلم أن لديهم خوفا غريزيا من كل كاتب أو قارىء وكذلك حرصهم على الا ينشغل الفلاح وأبنائه عن الحقل بشىء . وقد طمأن أيضا من أسماهم « أعداء المساواة » بأن القراءة والكتابة لا تعطى صاحبها حق التقلب فى المناصب العالية (١٧٢) . وعلى العكس من ذلك طالب الدكتور هيكل بايجاد « ارستقراطية علمية » وأن التعليم العالى يجب أن يرقى وينتشر بنسبة انتشار التعليم الداخلى وان لم يكن أسرع منه ، وانه اذا ارتقى التعليم الابتدائى بنسبة أسرع من العالى ادى ذلك الى حصول الفوضى (١٧٣) ولم تكن الدعوة لانشاء الجامعة المصرية من افكار رجال حزب الأمة ، برغم أن رشيد رضا قد نسبها الى محمد عبده (١٧٤) ، ولم يؤيده مصدر آخر ، وبرغم

---

(١٧٠) الجريدة ٥٢١ في ٢٣ نوفمبر ١٩٠٨ (في التعليم الأدنى) .

(١٧١) الجريدة ١٥٤ في ٨ سبتمبر ١٩٠٧ (لا تنسوا الأساس) ، ٢٢٩ في ٨ ديسمبر ١٩٠٧ (العناية بالكتاتيب) .

(١٧٢) الجريدة ٥٢١ في ٢٣ نوفمبر ١٩٠٨ .

(١٧٣) الجريدة ١٦٣٥ في ٢٥ يوليو ١٩١٢ .

(١٧٤) رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ، ج ١ ، ص ٩٤٧ .

انكار الجريدة فضل مصطفى كامل فى ذلك ونسبتها الى كل الجرائد (١٧٥) ، الا انه من الثابت ان مصطفى كامل قد سبقهم جميعا فى الدعوة اليها على صفحات اللواء منذ اكتوبر عام ١٩٠٤ (١٧٦) ، ومع ذلك لم تكن قد اتخذت خطوات عملية نحو عملية انشائها حتى دعا مصطفى كامل الفمراوى من بنى سويف الى عمل اكتتاب لانشائها (١٧٧) ، فتم الاجتماع الذى حضره سعد زغلول وقاسم امين واثنان من رجال حزب الامة (حسن جمجوم ومحمد عثمان أباظه) وكانت غالبيته العظمى لرجال الحزب الوطنى (١٧٨) ، وهكذا يبدو أن أمر الجامعة لم يكن فى ايدى رجال حزب الامة كما لم يكونوا أول الداعين اليه ، وقد أعلن سعد انه انصرف وقاسم عن بقية زملائهم الذين كونوا حزب الامة ، انصرفا الى مشروع الجامعة ، كما لم تهتم الجريدة بأمر الجامعة اهتمام الصحف الأخرى (١٧٩) .

واذا كان هذا هو موقف الحزب من المؤسسات التعليمية ، الذى بدا من خلال موقفه من الكتاتيب وانشاء الجامعة وتجاهله شبه التام لمؤسسات التعليم المتوسط فان للحزب اسهاما حقيقيا فى الدعوة الى تطوير التعليم من الناحية الكيفية ، اتساقا مع الايمان بقضية التحديث ، وقد لمس محمد السباعى هذه المسألة منذ الأعداد الاولى للجريدة ، وارجع الاختلاف بين الشرق والغرب الى اختلاف حالتى التعليم بالدرجة الاولى (١٨٠) ، كما افاضت الجريدة فى الاستشهاد بمنجزات الفكر الاوروبى بما يخص مسائل البيداجوجيا ، فعربت

---

(١٧٥) الجريدة ١٥ في ٢٥ مارس ١٩٠٧ .

(١٧٦) كما كرر نفس الدعوة في رسائله الى مدام آدم في يناير ويونيو ١٩٠٦ (مصطفى كامل : رسائل مصرية وفرنسية ص ١٧١ ، ٢٠٧) ونتحى رضوان : مصطفى كامل ، ص ٢٠١ . وقد دعا في احدى رسائله للريد ان تقوم الاحزاب جميعا بهذا العمل « فالكلية هى البناء الوحيد الذى أدعو المصريين جميعا الى تشييده » أوراق فريد ، خطاب ١٣ من مصطفى في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ .

(١٧٧) الجريدة ٢٧٢ في ٣٠ مايو ١٩٠٨ .

(١٧٨) أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ، ج ٢ ، م ٢ ، ص ١٠٩ .

(١٧٩) الجريدة ٢٥١ في ٤ يناير ١٩٠٨ حيث تساءلت عما ستكون عليه الجامعة وسارت في دروب التخمين بشأنها .

(١٨٠) الجريدة ٨ في ٧ مارس ١٩٠٧ .

عن « جلزا » مقالاته حول التدريس والتعليم والتدريب (١٨١) ونادت بتبني الاساليب الحديثة فى التربية والاستفادة بآراء سبنسر حول التعليم الجامع للمسرة والفائدة ، واستخدام الصور المتحركة والسينما وغيرها (١٨٢) ، وكذلك الاستفادة بما أحرزه علم النفس من تقدم ، واقترحت أن ترسل الجامعة مبعوثين عنها لدراسة قواعده (١٨٣) . وضرب فتحى زغلول الامثلة بنماذج من المدرسة الانجليزية كواحدة من أسرار تقدم الانجليز (١٨٤) . وقد ارتبطت دعوة التحديث بقيود تفرضها اوضاع المجتمع المصرى « صحيح انه ليس للعلم وطن ولا للتمدن وطن ولكن طريقة التعليم وطريقة التمدين يجب ان تأخذ الطابع الوطنى » (١٨٥) فارتبطت هذه القضية بالدعوة الى المصرية ، واقترنت هذه بالدعوة الى تعريب لغة التعليم ، وان كانت الجريدة قد بدأت بتأييد سعد زغلول حين حاول تأجيل هذا المطلب للجمعية العمومية ، حتى يمكن زيادة معلمى العربية ، الا انها تحولت عن ذلك موضحة أن زمان الاستعداد لا يلزم أن يكون طويلا وان كثيرا من فروع العلم يمكن تدريسه بالعربية من السنة القادمة (١٨٦) ، ثم طورت موقفها بعد ذلك وانتقدت التعليم بالانجليزية وتعجبت كيف يدرس تاريخ مصر والزراعة المصرية وآداب الاكل والمجادثة بغير العربية حتى أصبحت مدارس الحكومة ليس فيها من المصرية الا نسب التلامذة وتربة الارض القائمة عليها المدرسة (١٨٧) . اما اشتغال الطلبة بالسياسة ، فقد ابدت الجريدة استنكارها لذلك ونصحت التلاميذ بألا يتعاطوا السياسة فوقتهم وقت التحصيل (١٨٨) ، وكان ذلك اتساقا مع دعوة الحزب الى التعقل والاعتدال ، حتى لا ينجرف التلاميذ الى الحزب الوطنى الذى

---

(١٨١) الجريدة ١٤٦٤ في ٧ يناير ١٩١٢ .
(١٨٢) الجريدة ١٦٢٠ في ٨ يوليو ١٩١٢ .
(١٨٣) الجريدة ٢٢٣٤ في ١٣ يوليو ١٩١٤ .
(١٨٤) ديمولان : سر تقدم ، ص ١٣٧ .
(١٨٥) الجريدة ٥٣٢ في ٦ ديسمبر ١٩٠٨ ، ٢٢٣٧ في ١٦ يوليو ١٩١٤ .
(١٨٦) الجريدة ٥ ، ١٢ في ١٣ ، ٢١ مارس ١٩٠٧ .
(١٨٧) الجريدة ٥٣٢ في ٦ ديسمبر ١٩٠٨ وهاجمت استجلاب ٢٢ معلما انجليزيا بالمعارف في سنة واحدة وهذا بدل على أن احتلال المعارف متقدم لا متقهقر (العدد ١٠٦٣ في ٦ نوفمبر ١٩١٠) والعدد ١٤٥٥ في ٢٧ ديسمبر ١٩١١ .
(١٨٨) الجريدة ٢٠٩ في ١٣ نوفمبر ١٩٠٧ .

كان يعادى حزب الأمة آنئذ ، ولكن الموقف تغير بعد وفاة مصطفى كامل وتقارب الحزبين وتأثير سياسة الوفاق على حزب الأمة ، مما جعله يفقد نسبيا من لهجته ومن ثم بدأت جريدته تطالب بادخال المعلومات الضرورية وشرح الحوادث اليومية او بمعنى ادق تطالب بتدريس سياسة البلد فى المدارس ، وتساءلت كيف ننكر على الطلبة الاشتغال بها لتكميل عقولهم ؟ وذكرت أن السياسة أى تدبير الأمة لا تدخل تحت قانون تقسيم العمل لأنه عمل عام « وواجب كل فرد » (١٨٩) .

أما بالنسبة لقضية المراة فقد ارتبطت لدى مفكرى الحزب بمسألة تحديث المجتمع وتمدينه ككل ، وكان هناك من تناولوا قضية تحريرها من الجهل قبل قاسم امين ، حين ابدى الطهطاوى اعجابه بالمراة المتعلمة كما رآها فى باريس فى كتابه « التخليص » ثم أعطى برنامجا مصريا لتعليم البنات فى « المرشد الأمين » الا انه قدر لواحد من جماعة محمد عبده وهو قاسم امين أن يقود ما يعتبر انقلابا نحو تحرير المراة من العديد من القيود الاجتماعية ، وكان محمد عبده قد عالج هذه المسألة من زاوية خلقية بحته تتصل بعلاقة الرجل بالمراة من حيث التعامل ، وان تطورت المسألة بعد ذلك لتمس قضية تعدد الزوجات ، وضرر ذلك على اعتبار ان العدل سيكون مستحيلا وعلى ذلك نادى بالاكتفاء بواحدة (١٩٠) ، وفى مواجهة المجتمع المسلم المحافظ التزم محمد عبده حدود وتفسيرات الشريعة وان بنظرة متطورة . وحين وضع تقريره لاصلاح المحاكم الشرعية ابان خطا تعدد الزوجات بالنسبة للفقراء وما يجره من تغلغل للفساد داخل المجتمع ، وان كان قد أبان فى نفس الوقت أن ذلك سيحول دون اقامة حدود الله ويضر بالدين والأمة(١٩١) ، وقد طور

---

(١٨٩) الجريدة ٦٤٥ في ١٥ سبتمبر ١٩٠٨ وكانت هذه في الواقع دعوة الحزب الوطنى التى حملتها اللواء ودعت اليها . انظر اللواء ٢٨٠٠ في ١١ نوفمبر ، ٢٨٣٠ في ١٦ ديسمبر ١٩٠٨ .

(١٩٠) الوقائع أول ديسمبر ١٨٨٠ « النساء في الريف » ، ٨ مارس ١٨٨١ « حكم الشريعة في تعدد الزوجات » ، مصطفى عبد الرازق : أثر المراة في حياة الشيخ محمد عبده الهلال عدد ديسمبر ١٩٦٧ ، ص ٣٢١ ..

(١٩١) عن قاسم امين : المراة الجديدة ، ص ٢١٣ .

الشيخ القضية لتبلغ مدى آخر اقترح فيه حق الزوجة فى طلب الطلاق من القاضى(١٩٢) بما يعد تفسيرا جديدا للشريعة كما يعتبر خطوة جريئة نحو تحرير المراة .

ومن حيث انتهى الطهطاوى ومحمد عبده بدأ قاسم أمين فالف « تحرير المراة (١٨٩٩) وقرأ مخطوطته على محمد عبده ولطفى السيد وسعد زغلول فى جنيف ، وان كانت بعض المصادر تقول أن الكتاب قد كتب هناك بأفكار محمد عبده وتصويبات ومراجعات لطفى السيد(١٩٣) . والواقع أن الفكرة قد نشأت اساسا فى ذهن قاسم كرد فعل لما اثاره كتاب داركور عن مصر والمصريين (١٨٩٣) ولا يتعارض ذلك مع كونه قد اخذ راى أصدقائه فى افكاره ابان تأليفه ، وقد اكد لطفى السيد واحمد شفيق هذا المعنى (١٩٤) وخلال الازمة التى اثارها صدور الكتاب لم يجد قاسم من اصدقائه نصيرا سوى فتحى زغلول الذى اثنى على افكاره وايده فى موقفه ورد على منتقديه وقرن بينه وبين ترجمته لديمولان واعتقد انه هو الآخر لن يسلم من مثل هذا الانتقاد (١٩٥) ، وكذلك ابراهيم رمزى الذى أصدر مجلة « المراة فى الاسلام » واوقفها للدفاع عن قاسم (١٩٦) ، بينما نكص محمد عبده وسعد زغلول ولطفى السيد عن تأييد صديقهم وكتابه ولم ينفعل الامير ذلك الا بعد وفاة قاسم عام ١٩٠٨ (١٩٧) ، بل ان واحدا ينتمى لنفس الجماعة وهو طلعت حرب قد وضع كتابا عنوانه « تربية المراة والحجاب » (١٩٨) للرد عليه ، اعتمد فيه

---

(١٩٢) نص القانون الذى وضعه مفتى الديار المصرية عن اصلاح المحاكم الشرعية في كتاب قاسم امين السابق من ص ٢١٣ — ٢١٩ .

(١٩٣) Afaf, L. Al., Egypt and Cromer, p. 187.

(١٩٤) وقد ذكر أحمد شفيق أن قاسم قد عرض عليه أن يشاطره في تاليف الكتاب فاعتذر « ماهر فهمى : قاسم أمين ص ١٣٤ » وذكر لطفى أن قاسم قرأ علينا فصولا من كتابه مدة اقامتنا في جنيف « قصة حياتى ص ٣٧ » .

(١٩٥) ديمولان : سر تقدم ، ص ٤٤ عن مقدمة فتحى زغلول .

(١٩٦) وقد ظهرت لمدة سنة ثم حولها الى جريدة سياسية اسبوعية باسم التمدن ، الهلال ، يونيو ١٩٠٨ ، مجلد ١٦ ص ٥٠٦ — ٥١٦ وابراهيم درديرى : ابراهيم رمزى ، ص ١٠٥ .

(١٩٧) محمود عوض : افكار ضد الرصاص ، ص ٥٢ .

(١٩٨) ماهر فهمى : قاسم أمين ، ص ١٦٥ .

على التقاط بعض التناقضات القائمة على اللفظ والتعبير من خلال كتاب قاسم كما اعتمد على تذكيره بدفاعه عن المرأة المصرية ضد « داركور » من زاوية أن قاسم ينتقد وضع المرأة وليس يدعو الى تحريرها .

وقد ثنى قاسم كتابه الأول بكتاب « المرأة الجديدة » عام ١٩٠٠ مفصحا فيه عما اجمله فى الأول . ومتحررا فيه مما تحرز عنه ، وقد انصبت أفكار الكتابين اساسا على عديد من الأفكار تؤدى بعضها الى بعض وهى : تعليم المرأة وخروجها للعمل ، وهذا بدوره يؤدى الى رفع الحجاب أو سفورها ، وكانت معالجة هذه الأفكار قد بدأت بشكل تدريجى ، فمن الدعوة الى تعليم المرأة القراءة والكتابة الى دعوتها للتعليم الابتدائى(١٩٩) الى الدعوة الى حصولها على حق التعليم بجميع مراحله حتى يمكنها مواجهة مشاكل المعيشة وتعاطى كل الأعمال (٢٠٠) ، وهكذا تحول قاسم عن فكرة تمهيد أذهان المجتمع المحافظ لقبول هذه التغييرات حين تساءل لماذا يعتقد المسلم أن عوائده لا تتغير ولا تتبدل ؟ (٢٠١) ، كما فرغ من ضرب الأمثلة بأمهات المسلمين ونساء الصحابة الى المطالبة بتفسير الشريعة بروح عصرى ، وذكر أنه من المباح لكل أمة فى كل زمان ان يوجد فيها ما يوافق مصلحته(٢٠٢) وقد انتقل من هذا كله الى الدعوة الى فتح باب الاجتهاد للتوفيق بين أحكام الدين وحاجات الأمم على اختلاف الأمصار والاعصار (٢٠٣) ورأى بأنه من غير الممكن لامرأة محجوبة أن تتخذ صناعة أو تجارة للتعيش منها ان كانت فقيرة(٢٠٤) ، وأنكر ان فى الشريعة نصا يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة ، وطلب تخفيفه ورده الى أحكام الشريعة ، كخطوة نحو رفعه كلية (٢٠٥) ، وعاد فى « المرأة الجديدة » ليذكر ان الحجاب أفظع أشكال الاستعباد ثم تجاهل الحجاب

---

(١٩٩) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ٤٢ ، ص ٦٩ .
(٢٠٠) قاسم أمين : المرأة الجديدة ، ص ٩٩ — ١٠٠ .
(٢٠١) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ٢١ .
(٢٠٢) قاسم أمين : السابق ، ص ١٣٥ ، ١٨٤ .
(٢٠٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .
(٢٠٤) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ٨٤ .
(٢٠٥) المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٩٢ ، ١١٦ .

الشرعى ، واسرف فى ضرب الأمثلة بنساء الغرب(٢٠٦) وطالب كمحمد عبده بتضييق حدود الطلاق الى حد اعطاء المراة هذا الحق واقترح قانونا من خمس مواد بهذا الشأن (٢٠٧) .

وكان هيكل أول من عالج قضية المراة على صفحات الجريدة بشكل منظم ، فدعا الى تعليمها ونعى على القائمين بتوقفها عند التعليم الابتدائى ، فلا جدوى من تعليم ناقص تهمله بعد حين ، وارجع سبب ذلك ، كقاسم ، الى استبداد الرجل (٢٠٨) ، وطالب بخروج المراة واعتبر الحجاب سجنا ، واقترح زيا تخرج به مكشوفة الوجه ، والكفين مغطاة فيما دون ذلك (٢٠٩) . وقد شهد نادى حزب الأمة متحدثة فرنسية « مدموازيل كليمان » التى القت محاضرة عن تعليم المراة فى فرنسا (٢١٠) ، كما شهد — وللمراة الاولى — أول خطيبة مصرية هى ملك حفنى ناصف (باحثة البادية) التى أرسلت صوتها الاصلاح فى عدد كبير من صفوة السيدات والآوانس (٢١١) اللاتى اجتمعن بنادى الحزب فى اول سابقة من نوعها بدعوة من لطفى السيد .

وكان محور اهتمام لطفى السيد هو تحقيق مساواة المراة بالرجل وان كانت المساواة محددة بالحدود الطبيعية والشرعية ، فهو وان كان لا يطلب للمراة حق الانتخاب ، فانه — كقاسم — لا يجد فى الشريعة نصا يحرمها هذا الحق (٢١٢) . كما طالب بمساواة البنات بالبنين فى طريقة التعليم وفى المعاملات ، وظل يردد أقوال قاسم حول تحرير الأمهات قبل تحرير الاوطان ، واصلاح العائلة اولا ، وان التدين لا يمنع التمدن (٢١٣) ، ودافع عن حق

---

(٢٠٦) قاسم أمين : المراة الجديدة ، ص ٤٦ — ٤٨ .
(٢٠٧) قاسم أمين : تحرير المراة ، ص ١٧١ — ١٧٢ ، ١٧٦ .
(٢٠٨) الجريدة ٣٨٧ في ١٦ يونيو ١٩٠٨ .
(٢٠٩) الجريدة ٤٧٧ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٨ .
(٢١٠) الجريدة ٥٤١ ، ٥٤٢ في ١٧ ، ١٩ ديسمبر ١٩٠٨ .
(٢١١) الجريدة ٦٦١ في ١٣ مايو ١٩٠٩ .
(٢١٢) الجريدة ٦١ في ٢١ مايو ١٩٠٧ .
(٢١٣) الجريدة ٦١٠ في ٤ مارس ، ٦١٧ في ٢٢ مارس ١٩٠٩ ، ١٣٥٦ في ٢٨ اغسطس ١٩١١ .

المرأة في الخروج والتزين والمخالطة (٢١٤) على اعتبار ان ذلك من خصائص حريتها الشخصية ، اما رايه في الحجاب فيفهم ضمنا من افكاره السابقة ، وبشكل عام لا يضيف جديدا اكثر من انتصاره لافكار قاسم ، ولعل اسهامه الاساسي يكمن في تشجيع باحثة البادية على ان تخطب بنادي حزب الأمة (٢١٥) وكان همزة الوصل بين فكر قاسم وفكر الباحثة ، التي انطلقت في دعوتها عن ايمان بالمدنية الأوربية وقرنت ذلك بالدعوة الى المصرية خاصة في مسألتي التعليم والحجاب ، وكانت تصدر في أفكارها عن ايمان عميق بقانون تنازع البقاء الذي هو نتاج للفكر الأوربي (٢١٦) ، ووفقا لمذهب جماعة محمد عبده ، الذي ينبذ الطفرة ويسلك سبيل الاعتدال يبرز مفهوم الباحثة عن الحجاب والسفور ، فلا هي « قاسمية » متطرفة ذلك انها لا توافق على ذلك الآن وربما ارادته في المستقبل ولا هي تريد الحجاب المصري القديم ، وانما ارادت مذهبا وسطا (٢١٧) ، هذا برغم ايمانها العميق بضرورة السفور ، وواضعة في اعتبارها التقاليد القائمة رات ان هدم البناء لا يتم دفعة واحدة ولكن قليلا قليلا الى أن يتم الهدم فنبنى على انقاضه أحسن منه (٢١٨) . وكان ايمانها بقدرة المرأة المصرية على تعاطي الاعمال قويا ، فما ضعفها الآن الا نتيجة لقلة الممارسة (٢١٩) ، ومع ذلك لم تصل الى حد المناداة بحقوقها السياسية ، وقد همست لي في احدى رسائلها « انما نحن يا مي ضايقناه —

---

(٢١٤) الجريدة ١٤٨١ في ٢٧ يناير ١٩١٢ .

(٢١٥) ويبدو أن لطفي قد تراجع عن مسلكه فيما بعد حتى انه لما دعا الى تأبين فتحي زغلول تجاهل السيدات نعاتبته الآنسة مي فرد عليها بأنه ليس بقادر على تفسير ذلك سوى « اننا لم نكسر حتى الآن قيود عادة تستحكم فينا » طاهر الطناحي : أطياف من حياة مي ، ص ١٦٩ والجريدة ٢١٨٣ في ١٤ مايو ١٩١٤ .

(٢١٦) الجريدة ٩٤٢ ، في ١٦ ابريل ١٩١٠ .

(٢١٧) مجد الدين حفني ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٢٧١ ، والجريدة ١١٣٥ في ٤ ديسمبر ١٩١٠ .

(٢١٨) الجريدة ٤١٠ في ١٣ يوليو ١٩٠٨ .

(٢١٩) مجد الدين حفني ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٧٦ .

الرجل — فى بعض مملكته ، لنترك له السياسة التى يحبها وحمايتنا . . .»(٢٢٠)
وفى مجال حقوق المرأة أيضا رددت أفكار محمد عبده وقاسم حول جعل الطلاق وتعدد الزوجات بأمر القاضى (٢٢١) وان كانت لم تصل — مثلهما — الى حد المطالبة بمنح المرأة حق الطلاق .

* * *

(٢٢٠) منصور فهمى : محاضرات عن مى زيادة ، ص ٦٩ .
(٢٢١) مجد الدين حفنى ناصف : آثار باحثة البادية ، ص ٥٤ — ٥٥ ، ١٣٤ .